الوجوه والنظائر في التراكيب القرآنية

بين التأصيل والتطبيق

إعداد الدكتور

محمد حامد حسن عطية

مدرس التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

جامعة الأزهـــر

بسم الله الرحمن الرحيم

الوجوه والنظائر في التراكيب القرآنية بين التأصيل والتطبيق

محمد حامد حسن عطية

قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة – جامعة الأزهر – مصر

الإيميل الجامعي: Hmohammed16@azhar.edu.eg

ملخص البحث

شرعت في بحثي هذا الذي عنوانه:" الوجوه والنظائر في التراكيب القرآنية بين التأصيل والتطبيق" فبيَّنت فيه جملة من المسائل التأصيلية كتحرير القول في تعريفه، وبيان أوجه العلاقة بينه وبين المشترك اللفظي، وذكرت مواقف العلماء من هذا العلم، والرأي المختار، والمنهج الأمثل في دراسته، وأوضحت صلة التراكيب القرآنية بعلم الوجوه والنظائر، وموقعها من كتب الوجوه والنظائر التي عرضت لأشهرها، وأبرز سماتها، وما يؤخذ عليها، وأوضحت صور تعدد الأوجه في التراكيب القرآنية المتكررة، وأثر السياق في ذلك ، وقمت بالدراسة التطبيقية على جملة من التراكيب القرآنية ، ووقفت فيها على بعض النماذج المذكورة في كتب الوجوه والنظائر فقمت بدراستها ، وتحرير ما فيها من وجوه ونظائر مبينا نوع الاختلاف بين الأوجه، وسببه، كما أضفت نماذج أخرى لتراكيب لم أر من خصها بالدراسة ، ولم تفرد بالبحث في المؤلفات السابقة، وقمت بدراسة هذه التراكيب أيضا على النحو السابق، واستخرجت من خلال البحث فوائد من أهمهما أن الوجوه والنظائر تختلف عن المشترك اللفظي في جملة من الأمور، وأن كثيرا ممن كتب في هذا العلم استكثر من الوجوه ، واكتفى بالقليل من النظائر مع أن البحث عن النظائر مهم ، وأنه لا بد للدارس لهذا العلم من مراعاة ضوابط في بحثه من أبرزها: البحث عن المعنى الجامع والأصل اللغوي الذي تعود إليه المعاني الجزئية، وتوصلت إلى أن السياق له الأثر الكبير في القول بتعدد الوجوه في المفردات والتراكيب القرآنية المتكررة، ومن صور تعدد الأوجه في التراكيب القرآنية المتكررة وروده بالمعنى الحقيقي، والمعنى المجازي ، والمعنى اللغوي والاستعمال الشرعي، وذكر أحد أفراد اللفظ العام في بعض الأوجه، وختمت البحث بنتائج من أبرزها أن الوجوه والنظائر في التراكيب القرآنية لم تحظ بعناية تستحقها، وأنها لا تزال بحاجة إلى

الدراســة الجادة لما ذُكر في كتب الوجوه والنظائر، وإضــافة الجديد إليها بتتبع مواضــعه من القرآن الكريم، وأوصيت بدراسة علم الوجوه والنظائر وفق ضوابط محكمة ، كما أوصيت أيضا بتتبع الوجوه والنظائر في التراكيب القرآنية، والكتابة فيها على النحو الذي طبقته على تراكيب منها .

الكلمات المفتاحية: "الوجوه – النظائر– التراكيب– المشترك– السياق– التأصيل– التطبيق– أصل".

Variety of perspectives and Synonymity of Qur'anic Structures in between Indigenization and Application

By: Mohammed Hamed Hassan Atteia
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences
Faculty of Osoul El-din and Dawah in Mansoura
Azhar University

Abstract

The research at hand aims at displaying a group of indigenizing issues such as defining the authentication of a statement, highlighting its relation to homonyms, referring to scholars' viewpoints regarding this science, the selected view and the suitable approach of study. The research has clarified the link between the Qur'anic structures and the science of perspectives and synonymity with reference to the most popular books; their outstanding characteristics and remarks. In addition, the research has tackled the forms of multi- perspectivity of the recurring Qur'anic structures and their impact upon the context. Hence, the practical study has dealt with a number of Qur'anic structures; some of those examples have been included within the books of perspectives and synonymity and that is why they are highlighted here so as to trace the differences in between the perspectives showing the implied causes. Moreover, the research has handled other examples of such structures that have never been known to be touched in any former study. The research has concluded that there are some benefits beyond studying this topic, for example, perspectives and synonyms are largely different from homonyms. A lot of books in this field have considered the perspectives rather than the synonyms despite the importance of searching into synonymity. Due to the nature of this research, the researcher has applied the descriptive and analytical approaches together with the critical approach when there is a need. The researcher has also utilized the inductive approach to study the selected extracts. To conclude, the researcher has referred to the findings of this research, for instance those who study this science should observe regulations such as searching into the inclusive meaning and the linguistic origin to which partial meanings are related. Another finding is that, the context has a great impact upon the multi- perspectivity of words and recurring Qur'anic structures. The multi- perspectivity of recurring Qur'anic structures could be seen in its

revelation in its real meaning, figurative meaning, linguistic meaning as well as its legitimate usage with reference to the general utterance in some perspectives. Finally, the research has found out that perspectives and synonymity of Qur'anic structures have not received the due concern yet. They are still in need of serious study based upon what has been mentioned in the books of perspective and synonyms so as to add any new instances from the Holy Qur'an. The research has also recommended studying the science of perspectives and synonyms in accordance with strict regulations. It has also recommended tracing them in the Qur'anic structures and applying the same approach of this research.

Key words: perspectives, synonyms, structures, homonyms, context, indigenization, application, origin

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد: فإنَّ علوم القرآن كثيرة ومتنوعة، وهي من أعظم العلوم قدرا، وأعمِّها نفعا، وأوسعها معرفة؛ وذلك لصلتها بكتاب الله المبين الهادي إلى صراطه المستقيم، وإنَّ من علوم القرآن التي أولاها كثير من العلماء عنايتهم، فصنفوا فيها مصنَّفاتٍ مستقلةً وكتبا خاصة "علم الوجوه والنظائر" ، ولا غرو في ذلك فإنه أحد العلوم اللفظية التي هي-كما قرر الراغب الأصفهاني في مقدمة مؤلفه " المفردات غريب القرآن" - أول ما يُحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن، وذلك أن هذا العلم يقف به الدارس على الوجوه المتعددة لِمَا تكرَّر لفظه وتعدَّدَ معناه في القرآن الكريم، كما يتمكن به من إلحاق النظير بنظيره في ذلك، ويمكن أن يقال: إنها مرحلة تتبع معرفة الغريب من كلمات القرآن الكريم؛ ليسلم الدارس من الوقوع في الخطل والخلل في تفسير القرآن الكريم.

وقد يبدو لأول وهلة أن هذا العلم قد اكتمل بنيانه، وترسخت قواعده، وانتهت تطبيقاته لكثرة الكتب المصنفة فيه، والحق أن الواقع يشهد بخلاف ذلك حيث إن كثيرا من مسائل هذا العلم لا تزال بحاجة إلى التحرير، والتفصيل، والتقرير، والتأصيل.

والجدير بالذكر هنا أن هذه الكتب المؤلفة في الوجوه والنظائر لم تقتصر في بحثها على دراسة الوجوه والنظائر في مفردات أو كلمات قرآنية، بل تجاوزت ذلك فدرست بعض التراكيب القرآنية التي تكرر لفظها، واختلف المراد منها بحسب سياقها، وإن كانت قد مرَّت على بعض هذه التراكيب مرًّا، ولم تحتلب منها دَرًّا وهذه التراكيب جديرة بالبحث والتأمل والتحرير والتأصيل ، وكلامُ المفسرين فيها - بحسب ما اطلعت- منثورٌ في تفاسيرهم، متفرِّقٌ في كلامهم ، وقد يذكر عرضا لا قصدا، ومهمة هذا البحث الذي سميته " الوجوه والنظائر في التراكيب القرآنية بين التأصيل والتطبيق" تسليط الضوء على ذلك تأصيلا وتطبيقا، وتنظيرا وتمثيلا بما يستبين به الطريق الأمثل، والمنهج الأقوم في دراسة الوجوه والنظائر في التراكيب القرآنية مستمدا من الله العون والتوفيق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره

قد دعاني إلى اختيار هذا الموضـوع أسـباب ترجع في جملتها إلى أهمية البحث في مسـائل هذا العلم؛ لصـلته القوية بتفسـير القرآن الكريم، مع توافر الحاجة الداعية إلى ذلك، ورغبتي في تقديم ما هو مفيد ومحرر في هذا العلم.

ويمكن تفصيل أهم هذه الأسباب على النحو الآتي:

أولا: الوقوف على ما في التراكيب القرآنية المتكررة في سـياقات مختلفة من وجوه ونظائر يعين على إزالة الالتباس، ودفع الاشتباه الوارد عند تفهم معانيها، ومعرفة المراد منها.

ـثانيا: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم أحد علوم القرآن التي تضـم مسـائل قد شـابها غموض واختلاف، ولا تزال بحاجة إلى تحرير بدءا بالتعريف، ومرورا بوجود هذه الوجوه في القرآن تأييدا واعتراضا وقلة وكثرة، وصلة ذلك بالمشترك اللفظي، وانتهاء بنصيب التراكيب القرآنية من هذا العلم.

ـثالثا: الوجوه والنظائر في التراكيب القرآنية – وإن اقترن ذكرها في كتب الوجوه والنظائر بالمفردات القرآنية– لم تحظ بالعناية التي حظيت بها هذه المفردات ذِكرا، وتحريرا.

رابعا: عدم اطلاعي على بحث أو كتاب خصَّ الوجوه والنظائر في التراكيب القرآنية بالدراسة التأصيلية أو التطبيقية فيكون في البحث نوع طرافة وجدة.

خطة البحث:

قد قسَّـمت العملَ في هذا البحث –كي يحققَ المهمةَ التي أُنيطت به– إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج والمقترحات ثم ذيلت البحث بذكر أهم المصادر والمراجع.

فالمقدمة بينت فيها أسـباب اختيار هذا الموضـوع وأهميته، ومشـكلة البحث، والدراسـات السـابقة له، وخطة البحث ومنهج الدراسة المتبع فيه.

والمبحث الأول: الدراسة التأصيلية للوجوه والنظائر في التراكيب القرآنية وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تحرير القول في تعريف الوجوه والنظائر.

المطلب الثاني: العلاقة بين الوجوه والنظائر والمشترك اللفظي.

المطلب الثالث: التراكيب القرآنية وصلتها بعلم الوجوه والنظائر.

المطلب الرابع: علم الوجوه والنظائر بين المؤيدين والمعارضين.

المطلب الخامس: نبذة عن أبرز كتب الوجوه والنظائر، وبيان أهم سماتها المشتركة فيها.

المطلب السادس: صور تعدد الوجوه في التراكيب القرآنية، وأثر السياق في ذلك.

والمبحث الثاني: الدراسة التطبيقية للوجوه والنظائر في بعض التراكيب القرآنية.

مشكلة البحث:

يحمل هذا البحث مشكلة بحثية يسعى لحلها تأصيلا وتطبيقا ويمكن تجليتها من خلال عدد من الأسئلة لعل أبرزها: ما نصيب التراكيب القرآنية المتكررة من الدراسة في كتب الوجوه والنظائر، وما القيمة

العلمية لدراستها، وما أسباب تعدد الأوجه في هذه التراكيب، وما علاقة هذا العلم بالمشترك اللفظي، وما المنهج الأمثل في دراسة الوجوه والنظائر تأصيلا وتطبيقا على بعض التراكيب المتكررة؟

الدراسات السابقة والجديد في هذا البحث:

لم أقف -بحسب اطلاعي- على بحث أو كتاب خصَّ التراكيب القرآنية بالدراسة من هذه الجهة الخاصة، أعني ما فيها من وجوه ونظائر لكن هناك دراسات كثيرة في التراكيب القرآنية من جهات أخرى كالجوانب اللغوية والبلاغية.

وهناك – أيضا- دراسات سابقة عديدة تتعلق بالوجوه والنظائر، لكن بوجه عامٍّ كهذه الكتب الموسومة غالبا باسم الوجوه والنظائر قديما وحديثا - وسأعرض أشهرها وأهم سماتها، وما يؤخذ عليها في مطلب خاص بها في الدراسة التأصيلية بإذن الله تعالى مبينًا ما يُستدرك عليها في منهجها -، ويوجد حديث أيضا عن علم الوجوه والنظائر بوجه عامٍّ في كثير من مؤلفات علوم القرآن كالبرهان في علوم القرآن، والإتقان في علوم القرآن.

والجديد في هذا البحث عمَّا ورد في هذه المؤلفات:

١ - تحريرات مهمة في الدراسة التأصيلية تتعلق بمسائل عديدة كالفرق بين الوجوه والنظائر، والمشترك والأثر المترتب على ذلك، ونصيب التراكيب القرآنية من الدراسة في علم الوجوه والنظائر.

٢- الرد بالحجة والبرهان على بعض المعاصـــرين الذين ادعوا أنه لا وجوه ولا نظائر في كتاب الله عز وجل.

٣- بيان الموقف السديد، والمنهج الأمثل في التعامل مع الوجوه والنظائر بلا إفراط ولا تفريط.

٤- العناية الخاصة بالتراكيب القرآنية، وبيان صور تعدد الوجوه فيها.

٥- دراسة تراكيب ذكرها علماء الوجوه والنظائر دراسة تقوم على الاستقراء التام لمواضع ورودها في القرآن والتمحيص فيما ذُكر من أوجه، وبيان سبب الاختلاف بينها، ونوعه، وما فيها من نظائر.

٦- إضـــافة تراكيب أخرى لم أر من خصـــها بالبحث مع وجود الحاجة إليها، ودراســـتها على النحو السابق.

منهج البحث: اقتضـــى العمل في هذا البحث أن يعتمد على المنهج الوصـــفي، والمنهج التحليلي، كما استعملت المنهج الاستقرائي في دراسة المواضع التي قُمت باختيارها والتطبيق عليها بغية الوصول إلى المنهج السديد في دراستها.

وراعيت في ذلك اتخاذ الإجراءات التي يقتضيها البحث العلمي من عزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية والحكم عليها قبولا أو ردا وفق القواعد الحديثية المعروفة، وتوثيق الأقوال والرجوع إلى المصادر الأصيلة، والكتب المعتمدة كلٌّ في فنه سائلا الله العون والتوفيق والسداد والرشاد.

المبحث الأول

الدراسة التأصيلية للوجوه والنظائر في التراكيب القرآنية

المطلب الأول: تحرير القول في تعريف الوجوه والنظائر

أولا: التعريف اللغوي لـ"الوجوه، النظائر"

الوجوه في اللغة: جمعٌ لِلوَجْه، وأصله في اللغة يدل على مقابلة لشيء، فالوجه مستقبل لكل شيء، ويقال: هذا وجه الرأي أي: هو الرأي نفسه، والوجه والجهة بمعنًى، ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به [١].

وفي التعبير بالجمع" وجوه" إشارة إلى تعددها، وأنه كما يقال: كساء موجه أي: ذو وجهين فكذلك الكلمة إذا تعددت معانيها قيل عنها: ذات وجوه.

والنظائر لغة: جمع نظيرة، وأمَّا النظير فيجمع على نظراء، والمراد بهما: المِثْل، وقيل: المِثل في كل شيء. وفلان نظيرك أي: مثلك؛ لأنه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواء [٢].

ثانيا: التعريف الاصطلاحي "للوجوه والنظائر" وتحرير القول فيه:

لأهل العلم في المراد بالوجوه والنظائر اتجاهان مختلفان:

الا تجاه الأول وتقلَّده ابن الجوزي قال: "معنى الْوُجُوه والنظائر أَن تكون الْكَلِمَة وَاحِدَة، ذكرت فِي مَوَاضِع من الْقُرْآن على لفظ وَاحِد، وحركة وَاحِدَة [٣]، وَأُرِيد بِكُل مَكَان معنى غير الآخر، فَلفظ كل

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس- كتاب الواو- باب الواو والجيم وما يثلثهما (٦/ ٨٨) - طـ: دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ولسان العرب لابن منظور-حرف الهاء- فصل الواو (١٣/ ٥٥٦) - دار صادر - بيروت- الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ..

(٢)ينظر: لسان العرب (٥/ ٢١٩).

(٣) الذي يظهر من صنيع علماء الوجوه والنظائر -ومنهم ابن الجوزي نفسه- عدم اشتراط أن تكون الكلمة على لفظ واحد وحركة واحدة في مواضع وردوها في القرآن، ودليل ذلك أنهم يستعملون اللفظة ومشتقاتها على السواء في تعداد الوجوه والاستدلال لها فيذكرون الآيات التي فيها الاسم والفعل المتفقان في الأصل الواحد مثل: فرَّ، ويفر، الفرار، وآمن ويؤمن وإيمان" ونحو ذلك.

كلمة ذكرت فِي مَوضِع نَظِير للفظ الْكَلِمَة الْمَذْكُورَة فِي الْموضع الآخر، وَتَفْسِير كل كلمة بِمَعْنى غير معنى الأخرى هُوَ الْوُجُوه. فَإِذن النَّظَائِر: اسْم للألفاظ، وَالْوُجُوه: اسْم للمعاني"[(١)].

الاتجاه الثاني: ويمثله الزركشي ومن وافقه قالوا:" الوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأُمَّة، والنظائر كالألفاظ المتواطئة "[(٢)].

ومما سبق يتبين أن الفرق بين التعريفين واقع في المراد بالنظائر فحسب؛ لأن الوجوه في كلا التعريفين يراد بها المعاني المتعددة للفظ المتفق في مواضع وروده في القرآن الكريم، وأما النظائر فإنها على القول الأول تعني اللفظ المتكرر في كل موضع بغض النظر عن معناه في كل موضع، وعلى القول الثاني فإن النظائر تمثل المواضع المتفقة في المعنى داخل الوجه الواحد فإذا وردت كلمة" أمة" في أحد وجوهها بمعنى "سنين" في موضعين من القرآن، فيقال في كل موضع من الموضعين هو نظير الآخر، وهذه الآية نظيرة تلك.

قال مقاتل بن سليمان في أثناء حديثه عن الوجوه التي وردت في كلمة "أُمَّة":" الوجه الثالث: أمة بمعنى سنين فذلك قوله في هود ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ﴾[هود:٨] يعني سنين معدودة، نظيرها في يوسف: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾[يوسف:٤٥]" [(٣)] وهكذا صنع في الوجوه الأخرى يذكر

---

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لأبي الفرج ابن الجوزي صـــ٨٣- مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢)البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ١٠٢) - دار إحياء الكتب العربية- ط: الأولى

والألفاظ المتواطئة: هي التي تُطلق على أشياء متغايرة بالعدد، ولكنها متفقة بالمعنى الذي وضع الاسم عليها، كاسم الرجل فإنه يُطلق على زيد وعمرو وبكر وخالد، والمتواطئ على ذلك يدل على معانيه المتعددة بموجب وضع واحد عكس المترادف. [ينظر: المستصفى للإمام أبي حامد الغزالي صـ٢٦- دار الكتب العلمية- الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م].

(٣) الوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان صـــ٥٤، وتوجد أمثلة كثيرة جدا على استعمالهم كلمة "نظير" بهذا المعنى ينظر :[الوجوه والنظائر لمقاتل صـــ٣٦، صـــ٣٨-٣٩- مكتبة الرشد، والتصاريف ليحيى بن سلام صـــ١١٥، صـــ١٢١،

مع كل وجه الآيات التي بينها تناظر في المعنى، وكذا صنع في أكثر الكلمات التي ذكر لها وجوها، ثم تبعه المؤلفون في الوجوه والنظائر على ذلك فإنهم يذكرون لفظة:" نظير" عند سرد الآيات التي يعددونها في سياق التمثيل لوجه واحد من الوجوه التي تكون للفظ المشترك، بحيث يكون لكل وجه نظائره التابعة له، ولا يمكن لوجهين أن يشتركا في النظائر، فيميزون بذلك بين الوجوه والنظائر(١).

والنظائر تختص بما اتفق معناه في داخل الوجه الواحد، وقد يلحق بها كليات الألفاظ في تفسير القرآن الكريم فالكلمة التي تأتي في القرآن على معنى واحد في مواضعها المتعددة يقال لها: نظائر، ومن أجل ذلك قال طاش كبرى زاده:" **ومثال النظائر**: كل ما فيه البروج، فهو من الكواكب إلا ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[النساء:٧٨] فهي القصور الطوال الحصينة" (٢) فأنت تراه مثل للنظائر بكليات الألفاظ في تفسير القرآن الكريم.

وهذا الاتجاه الثاني في معنى النظائر أولى بالقبول، وأليق بما هو مذكور في كتب الوجوه والنظائر؛ ولذا تعقب الزركشي القول الأول بقوله:" وضُعِّف؛ لأنه لو أريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة فيجعلون الوجوه نوعا لأقسام والنظائر نوعا آخر كالأمثال"(٣).

وبناء على ما سبق فالمراد بالوجوه: المعاني المتعددة لما تكرر بلفظه أو أصله في القرآن الكريم.

وعبرت بقولي:" **ما تكرر**" للإشارة أن أساس البحث في هذا العلم إنما هو فيما تعددت وجوهه بسبب تكرر لفظه واختلاف سياقه، وأمَّا ما تعددت وجوهه في الموضع الواحد فليس مرادا في هذا العلم، وجاء

ووجوه القرآن لإسماعيل الحيري صـ٦٧، صـ٧٠-٧١ – كلاهما دار النوادر القيمة، والوجوه والنظائر للدامغاني صـ١٥١، صـ٣٥٥، صـ٣٧٩- دار الكتب العلمية].

(١) ينظر: مقدمة د هند شلبي لكتاب التصاريف ليحيى بن سلام صـ٢٣-٢٤- دار النوادر القيمة- طبعة١٤٣١هـ-٢٠١١م.

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لأحمد بن مصطفى المشهور بطاش كبرى زاده (٢/ ٣٧٩) - دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

(٣) البرهان في علوم القرآن (١/ ١٠٢).

التعبير ب"**لفظه**" ليشـمل الكلمة والتركيب؛ فإن الناظر في كتب الوجوه والنظائر يجد أنهم لم يقصـروا البحث على الكلمات المفردة بل أدخلوا في بحثهم بعض التراكيب التي اتفق لفظها، واختلف المراد منها كما سيأتي بيانه.

وقصدت بقولي:" أو أصله" إدخال ما كان اشتقاقه واحدا كـ "آمن، وإيمان" فإنه يعد عند علماء الوجوه والنظائر شيئا واحدا في بيان وجوهه، وإن كان لفظه مختلفا من حيث إنَّ أحدهما فعل، والآخر مصدر.

والنظائر: تشمل أمرين ١- مواضع الوجه الواحد المتفقة في المعنى وذلك فيما تعددت وجوهه

٢- كل المواضع القرآنية المتفقة في المعنى لما جاء على وجه واحد.

والمراد:" مواضع الوجه الواحد" ما ذكره من صنف في الوجوه والنظائر من آيات متناظرة عند ذكر كل وجه من الوجوه فإنهم يذكرون للوجه الواحد مواضـع وردت فيه على معنى واحد فهذه الآيات فيما بينها نظائر.

والمراد: بـــ:" كل المواضع القرآنية .... " كليات الألفاظ في تفسير القرآن الكريم فإن قولهم:" كل ما جاء من ذكر كذا فهو بمعنى كذا" يفيد أن هذه المواضع نظائر أيضا يشبه بعضها بعضا.

ونجد للنظائر أصـلا في السـنة النبوية في قول النبي صـلى الله عليه وسـلم لما نزل قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾، وشق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أينا لا يظلمُ نفسَه؟ قال: «ليس ذلك إنما هو الشـركُ ألم تسـمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣]»[(١)]، فتفسـير الظلم بالشـرك وجه من أوجه اسـتعماله، والآيتان كلٌّ منهما نظيرة للأخرى.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه- كتاب أحاديث الأنبياء- باب قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ﴾ -(٤/ ١٦٣ حديث:٣٤٢٩) -دار طوق النجاة- بيروت/ الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـــ، والإمام مسلم في صحيحه بتبويب النووي- كتاب الإيمان- باب صـدق الإيمان وإخلاصـه-(١/ ١١٤ حديث١٩٧) - دار إحياء التراث العربي – بيروت.

المطلب الثاني: العلاقة بين الوجوه والنظائر والمشترك اللفظي.

يحسن بي بين يدي الحديث عن العلاقة بين الوجوه والنظائر والمشترك اللفظي بيان المراد من هذا المصطلح أعني المشترك اللفظي حتى يتضح الأمر، ويزول اللبس.

وبداية فالمشترك أحد أقسام اللفظ إذا نسب للمعنى باعتبار وحدته وتعدده، ووحدة المعنى وتعدده(١)

ومفهوم المشترك في كلام المتقدمين عموما يقوم على اتفاق اللفظ وتعدد المعاني من غير قيود أو شروط(٢).

-قال ابن-فارس: "معنى الا-شتراك: أن تكون اللفظة محتملة لمعنين أَوْ أكثر، كقوله جلّ ثناؤه:﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ **[طه: ٣٩]** فقوله:﴿فَلْيُلْقِهِ﴾مشترك بَيْنَ الخبر وبين الأمر، كَأَنَّه قال: فاقذفيه فِي اليم يُلْقِهِ اليم. ومحتمل أن يكون اليمُّ أُمر بإلقائه... ومن الباب قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر:١١] فهذا مشترك محتمل أن يكون لله جلّ ثناؤه؛ لأنه انفرد بخَلْقِهِ، ومحتمل أن يكون: خَلقتُه وحيداً فريداً من ماله وولَدِه"(٣).

وتمثيل ابن فارس يدل على أن مفهوم الاشتراك عنده يتسع ليشمل الأساليب والتراكيب، ولا يقف عند حد المفردات فحسب، وذلك أن الاشتراك في ﴿فَلْيُلْقِهِ﴾اشتراك بين أسلوبين: الخبر والأمر، وفي ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾اشتراك بين تركيب الحال من الفاعل، والحال من المفعول.

وأما علماء الأصول والمنطق فقد وضعوا قيودا في تعريف المشترك اللفظي للتمييز بينه وبين مصطلحات أخرى قد تلتبس به من مثل دلالة اللفظ على الحقيقة والمجاز، واشتباهه باللفظ المتواطئ

---

(١) الغيث الهامع شرح جمع الجوامع لولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي صـ١٤٩ - دار الكتب العلمية- الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين التنظير والتطبيق د. محمد نور الدين المنجد صـ٣٠-دار الفكر المعاصر.

(٣) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها- لأحمد بن فارس صـ٢٠٧- الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، وينظر أيضا كلام سيبويه في الكتاب (١/ ٢٤) - مكتبة الخانجي، القاهرة- الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

فعرَّفه الإمام أبو حامد الغزالي بقوله:" أما المشـــتركة فهي: اللفظ الواحد الذي يطلق على موجودات مختلفة بالحد والحقيقة إطلاقا متساويا كالعين تطلق على العين الباصرة، وينبوع الماء وقرص الشمس وهذه مختلفة الحدود والحقائق"(١).

وقال الإمام الرازي:" اللفظ المشترك هو اللفظ الموضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر وضعا أوَّلًا من حيث هما كذلك فقولنا الموضوع لحقيقتين مختلفتين احترزنا به عن الأسماء المفردة، وقولنا وضعا أولا احترزنا به عما يدل على الشـيء بالحقيقة وعلى غيره بالمجاز، وقولنا من حيث هما كذلك احترزنا به عن اللفظ المتواطئ فإنه يتناول الماهيات المختلفة لكن لا من حيث إنها مختلفة بل من حيث إنها مشتركة في معنى واحد"(٢).

قلت: ويحترز أيضا بقوله:" **وضعا أوَّلًا**" عن المنقول فإنه لم يوضع من أول الأمر للمعنى المنقول إليه.

قال الغزالي:" وأما المنقول فهو أن ينقل الاســم عن موضــوعه إلى معنى آخر، ويجعل اســما له ثابتا دائما..... ويفارق المخصوص باسم المشترك بأن المشترك هو الذي وضع بالوضع الأول مشتركا للمعنيين لا على أنه استحقه أحد المسميين، ثم نقل عنه إلى غيره"(٣).

العلاقة بين الوجوه والنظائر والمشترك اللفظي

إذا راعينا الاصطلاح الذي ارتضاه الأصوليون والمناطقة في تعريف المشترك اللفظي فإن إطلاق القول بأن الوجوه والنظائر هي المشــترك اللفظي محل نظر؛ لأن أكثر الوجوه لا يتحقق فيها تلك القيود الموجودة في المشترك. ومن ثمَّ فلا يصلح القول بأن الوجوه والنظائر والمشترك اللفظي شيء واحد خلافا لمن سوَّى بينهما كما هو صنيع الإمام السيوطي حين أطلق على الوجوه والنظائر "المشترك"، وألَّف كتابا أشار إليه في الإتقان بقوله:" وقد أفردت في هذا الفن كتابا سميته " معترك الأقران في مشترك

(١) معيار العلم لأبي حامد الغزالي صـ٨١- تحقيق د. سليمان دنيا - دار المعارف، مصر- عام النشر: ١٩٦١ م.

(٢) المحصول لفخر الدين الرازي (١/ ٢٦١) - مؤسسة الرسالة-الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

(٣) معيار العلم لأبي حامد الغزالي صـ٨٦.

القرآن "[١] مع أنه ذكر في "المزهر" تعريف المشترك فقال:" وقد حدَّه أهل الأصول بأنه اللفظُ الواحدُ الدالُّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"[٢].

وبيان ذلك أن الوجوه -كما يظهر لمن يطالعها- تقوم أحيانا على استعمال اللفظ في معنييه الحقيقي والمجازي، وربما قامت على استعمال اللفظ في معناه الأصلي ومعناه المنقول إليه في عرف القرآن واستعماله، وربما قامت على علاقة العموم والخصوص بين المعنيين، وربما على معنى التواطؤ، وما إلى ذلك مما ليس من حقيقة المشترك لدى الأصوليين، ومن ثَمَّ فقد انتقد ابنُ عقيلة المكيُّ السيوطيَّ في تسميته الوجوه بالمشترك فقال:" تسمية هذا النوع الذي هو الوجوه والنظائر بالمشترك كما ذكره السيوطي رحمه الله تعالى وتمثيله بما سيأتي **فيه نظر** ... فإن المشترك اللفظي الذي إذا أطلق المشترك لا ينصرف إلا إليه هو اللفظ الواحد يشترك فيه معاني شتى مثل: العين يطلق ويراد بها الباصرة ويراد بها الجارية وعين الشمس والعين الذهب والعين

الذات وفي كل واحد معنى مستقل غير الآخر.

وأما إطلاق اللفظ على ما يدخل تحت عمومه أو إطلاقه عليه على وجه التشبيه أو الاستعارة فليس هذا من المشترك في شيء بل المشترك مثل العين وأمثال ذلك وأما الوجوه والنظائر فهي إطلاق اللفظ على ما يدخل تحته أو يشابهه أو يشاكله في المعاني.

وقد ذكر ابن الجوزي في كتابه المسمى: الوجوه والنظائر، ولم يجعله من المشترك ومنه نقل الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى وسمَّاه بالمشترك"[٣].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/ ١٤٤)- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي (١/ ٢٩٢) - دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

(٣) الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي (٥/ ٢١٧) - مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات- الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ، وينظر أيضا: أحسن الحديث دراسة في بيان القرآن أ.د محمد سالم أبو عاصي صـ١١٥-دار الحرم- الطبعة الأولى-٢٠٢١م.

ويمكن أن نستخلص من النظر والتأمل فيما ذكره علماء الوجوه والنظائر في كتبهم أن الوجوه والنظائر عندهم أعم من المشترك، وأن التعبير عنها بالمشترك في كثير من الأحوال إنما هو على سبيل التجوز والتوسع؛ وذلك أن العلاقة بين الوجوه قد تكون من قبيل المشترك، وقد تكون من قبيل العام والخاص، أو ما يندرج تحت المعنى العام من أفراد، أو استعمال الحقيقة والمجاز وغير ذلك.

ومما يؤكد أنه ثمة فرق بين المشترك والوجوه والنظائر أن الاشتراك اللفظي قائم في أصله على أساس تعدد المعنى للفظ الواحد باعتبار المحكي عن العرب، وأما الوجوه فإن تعدد المعنى فيها قائم على الاستعمال القرآني لها بحسب سياقاته، وهذا عرف شرعي خاص.

وأيضا فإن المشترك اللفظي في اصطلاح الأصوليين خاص بالمفردات، وأما الوجوه والنظائر فقد وقعت في المفردات والتراكيب كما سيأتي في مجالات البحث في الوجوه والنظائر.

وبهذا التحرير يتبين لنا أنه لا ينبغي حمل جميع ما ورد في كتب الوجوه والنظائر على أنهم قصدوا به المشترك اللفظي كما سماه الأصوليون؛ لأن في ذلك إلزاما لهم بما لم يلتزموه.

وهذا في نظري أولى من الاكتفاء بالتعليل الذي ذكره بعض الباحثين من أن السبب في ذلك أنّ كلمة «اللفظ» لا تقال في رحاب القرآن الكريم والبديل عنها هو «الكلمة»؛ لأن العرب إذا قال قائلهم: لفظت باللّقمة من فمي فمعناه: رميت بها، وكلام الله تعالى لا يقال: يلفظ به، وإنما يقال: يقرأ، ويتلى، ويكتب، ويحفظ، وأنه لهذا السبب وضعت عناوين أخرى تحمل معنى المشترك اللّفظي ولكنها لا تحمل اسمه [1].

وذلك لأننا لا نرى صحة التسوية بين المشترك والوجوه والنظائر سواء نُعِت المشترك بأنه لفظي أم لا ؛ لما سلف من الفروق بين ما في كتب الوجوه والنظائر، والمشترك المعروف لدى اللغويين والأصوليين، ومن أجل ذلك تعقب ابن عقيلة السيوطي مع أنه اكتفى بقوله:" مشترك القرآن"، ولم يصفه باللفظي والله أعلم.

(١) ينظر: المشترك اللفظي في الحقل القرآني- د. عبد العال سالم مكرم صـــ٣١- مؤسسة الرسالة – بيروت- الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ.

المطلب الثالث: التراكيب القرآنية وصلتها بعلم الوجوه والنظائر

الناظر في المؤلفات الخاصة بالوجوه والنظائر يجد أنهم قد بحثوا عن الوجوه والنظائر في ثلاثة مجالات:

١- **المفردات** التي تكررت بلفظها أو أصلها واختلف معناها وهذا هو الغالب في هذه الكتب.

٢- **حروف المعاني** مثل: (هل، ولا، وكلا) التي تكررت واختلف المراد منها في مواضع ورودها.

٣- **تراكيب قرآنية** تكرر لفظها واختلف المراد منها.

وهذا يؤكد ما سبق من أن الوجوه والنظائر عند المصنفين فيها أوسع دائرة من المشترك اللفظي الذي مدار الكلام فيه على المفردات لا التراكيب.

والتركيب أو المركب ينقسم إلى تام وغير تام، **فأما التام** فهو الذي يحسن السكوت عليه، ويسمى كلاما[١]، **وأما غير التام** فهو: ما تركب من كَلِمَتَيْنِ فأكثر وصار بِمَنْزِلَة اسْم وَاحِد فِي شدَّة الِانْعِقَاد، أو ما يقصد بجزء منه الدلالة على جزء معناه وهو على ذلك مفيد لكن فائدته غير تامة؛ لافتقاره إلى كلام آخر معه لتتم فائدته [٢]، والذي ورد في كتب الوجوه والنظائر من ذلك هو التركيب غير التام كالمركب الإضافي مثل:" أصحاب النار"، و "ثلاثة أيام"، والوصفي مثل: "الحسنة والسيئة"، والوصفي مثل:" أيام معدودات"، والموصولي مثل:" ما بين أيديهم وما خلفهم"، و" ما ملكت أيمانهم".

وأرى – والله أعلم أنه يمكن إلحاق المركب التام بذلك إذا تكرر لفظه واختلف معناه أو المراد منه كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ فإنه جاء في موضعين أريد بأحدهما الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وبالآخر جبريل عليه السلام كما سيأتي تفصيله بإذن الله في الدراسة التطبيقية.

وبهذا يعلم أن مرادي بالوجوه في التراكيب القرآنية: المعاني المتعددة للتراكيب التامة وغيرها مما تكرر وروده في القرآن.

---

(١) البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين الزركشي (٢/ ٣٠١) – دار الكتبي– الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

(٢) ينظر: شرح كتاب الحدود في النحو – لعبد الله بن أحمد الفاكهي النحوي المكي صـ٨٥– مكتبة وهبة – القاهرة– الطبعة: الثانية، ومنازل الحروف للرماني صـ٧٠ تحقيق: إبراهيم السامرائي–دار الفكر – عمان.

ومرادي بالنظائر: ما اتفق من معاني هذه التراكيب في الوجه الواحد، أو في جميع مواضعها في القرآن.

وقد يظن ظانٌّ أن التراكيب المذكورة في مؤلَّفات الوجوه والنظائر لم يقصـد من إيرادها إلا بيان الأوجه في مفرداتها دون النظر إلى التركيب، ولكن هذا الظن لا يسـاعد عليه طريقتهم في ذكر الوجوه والنظائر فإنك تجد فريقا منهم في دراسـتهم قد فرقوا بين الأوجه الواردة في التركيب برُمَّته، والأوجه الواردة في أحد مفرداته فمثلا: فرقوا بين الأوجه الواردة في معنى أصـحاب النار ، والأوجه الواردة في الصـاحب ، وجعلوا لكل منهما بابا خاصـا لدراسـتها[١]، وكذلك فصـلوا بين الكلام عن الأوجه الواردة في معنى الأمر، والأوجه الواردة في معنى "الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر" ، والأوجه الواردة في كلمة "المعروف" وحدها[٢] ، وكذلك فرقوا بين الأوجه الواردة في" ما ملكت أيمانكم" ، والأوجه الواردة في "الملـك"[٣] ، وفرقوا بين الأوجه الواردة في معنى الصـلاة، وفي معنى الإقامة، وفي معنى إقامة الصـلاة[٤]، وهكذا في تراكيب أخرى مما يدلك على أنهم قصـدوا التركيب كله سـواء أكان إضـافيا أم وصفيا أم كان غير ذلك.

والحق أنهم قد اسـتغنوا عن البحث في كثير من التراكيب اكتفاء بالبحث في المفردات التي هي أصـل لهذه التراكيب. ويبدو لي أن الأمر يتفاوت ففي بعض الأحوال يكتفى بذكر الأوجه الواردة في المفردة عن التركيب، وذلك حينما تكون الأوجه الواردة في المفردة قليلة يمكن ضـبط الدارس لها بيسـر، ولا

(١) ذكر إسماعيل بن أحمد الحيري وجهين في المراد بـ" أصحاب النار" ، وثمانية أوجه في المراد بـ" الصاحب" ينظر: وجوه القرآن لإسماعيل الحيري صـ٨٩، و صـ٣٥٧-دار النوادر القيمة- طبعة ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

(٢) ذكر مقاتل الأوجه الواردة في الأمر فذكر لها ثلاثة عشر وجها صـ٢٤٢، والأوجه الواردة في الأمر بالمعروف صـ٨٨ فذكر لها وجهين، والأوجه الواردة في المعروف فذكر لها أربعة أوجه صـ٨٩.

(٣) ذكر إسماعيل بن أحمد الحبري في كتابه وجوه القرآن عشرة وجوه في المراد بـ" الملك"صـ٥٢٨، وأربعة أوجه في المراد بـ" ما ملكت أيمانكم" صـ٥٤٨.

(٤) ذكر ابن الجوزي وجهين في معنى إقامة الصـلاة، وخمسـة أوجه في المراد بالإقامة وحدها، وعشـرة أوجه في المراد بالصلاة وحدها [ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر صـ٩٥، صـ١٣٩،صـ٣٩٣].

يتغير معنى هذه المفردة عند التركيب، ولا يشكل فهمها، وفي أحوال أخرى يحسن إفراد التركيب بالبحث لتيسير ضبط الوجوه والنظائر فيه بعيدا عما ورد من أوجه في أحد مفرداته.

ومن الفروق بين دراسة التراكيب مستقلة، ودراستها من خلال بعض مفرداتها أنها:

١-أنها تذكر في دراسة المفردات على سبيل التمثيل لا الاستقصاء والاستقراء لمواضع ورود هذا التركيب.

٢- أنها تذكر في أثناء الحديث عن المفردات عرضا لا قصدا بخلاف دراستها مستقلة.

ودونك مثالا على ذلك: ذكر علماء الوجوه والنظائر وجوها في معنى الصاحب بلغت أحد عشر وجها في مجموعها، وفي كل وجه نظائر مندرجة بداخله، ولكنهم عند دراسة تركيب" أصحاب النار" قد ذكروا وجهين أحدهما تندرج فيه جميع النظائر، وآخر ينفرد بموضع واحد، فيسهل على الدارس حينئذٍ أن يعلم أن هذا التركيب جاء على وجهين، دون حاجة إلى استحضار الأوجه العديدة على كلمة" الصاحب"، ومحاولة تطبيق هذا التركيب على أحدها.

وربما أمكنه أن يصل إلى قاعدة كلية في المراد بهذا التركيب يعود إليها كلما احتاج الأمر، ويعرف من خلالها ما استثني من أوجه، ومن هذا القبيل قولهم في هذا المثال:" كل ما في القرآن من أصحاب النار فهم أهل النار إلا قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ المدثر :٣١ فإنه يريد خزنتها"[(١)].

ويزيدك علما بأهمية هذه الدراسة ما ستقف عليه – فيما سيأتي- من أن أكثر المؤلفين في الوجوه والنظائر كانوا يستكثرون من الوجوه في المفردات، وإن كان على حساب ذكر النظائر فيها مما يصعب معه الوصول إلى الأوجه القليلة الواردة في هذا التركيب أو ذاك لا سيما وأن دوران هذه التراكيب المتكررة في القرآن أقل ورودا من المفردات المتكررة.

وبهذا تظهر القيمة العلمية لدراسة الوجوه والنظائر في التراكيب القرآنية، وأنها تيسر فهم القرآن، وتساعد على إزالة اللبس دون كبير عناء، ويتحقق معها السلامة من الخطأ والوقوع في التفسير بالرأي المذموم لهذه التراكيب القرآنية المتكررة.

(١) البرهان في علوم القرآن(١/ ١٠٨)، والإتقان في علوم القرآن(٢/ ١٥٨).

وقد أجاد الإمام النووي حين قال – وهو يعدد أقســام المفســرين برأيهم من غير دليل:" وكما إذا كان اللفظ مشتركا بين معان فعلم في موضع أن المراد أحد المعاني ثم فسر كل ما جاء به، فهذا كله تفسير بالرأي، وهو حرام"(١)، وما من شك أن من فسَّر مفردة أو تركيبا ورد على أوجه متعددة ومعانٍ مختلفة في مواضعه بوجه واحد في كل مواضعه له نصيب من هذا الكلام.

هذا، والناظر فيما ذكره علماء الوجوه والنظائر من أوجه في التراكيب القرآنية يجد أنها لم تُخص بالتقسيم أو التمييز في كتبهم، وإنما ذُكِرت كما تذكر الكلمات وحروف المعاني؛ إذ قد راعى بعض من كتب في الوجوه والنظائر الترتيب الهجائي فتذكر "أصحاب النار" في الهمزة، والصاحب في الصاد، وهكذا في التراكيب والمفردات الأخرى (٢).

والوقوف على هذه التراكيب القرآنية يتحقق بأمرين:

١ – **تتبع ما ذكره علماء الوجوه والنظائر في كتبهم للوقوف على التراكيب** التي ذكروها ثم الدراسة الجادَّة لها، وتحرير ما سلم من أوجه مذكورة فيها، ومراعاة المعنى الجامع لها كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى.

٢- **النظر بتمعن في آيات القرآن الكريم لاستخراج التراكيب المتكررة** كخطوة أولى، ثم المقارنة بين مواضع كل تركيب منها للوصول إلى ما ورد منها على معنى واحد، وما ورد منها على أوجه متعددة بعد دراستها وقد وقفت على تراكيب لم أر لها ذكرا في كتب الوجوه والنظائر تحسن إضافتها إلى ما ذكروه بل ربما كانت أولى بالتنبيه والدراسة من كثير مما ذُكر منها سيأتي الحديث عنها في الدراسة التطبيقية بإذن الله تعالى.

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن صـ١٦٧ – دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان–١٤٣٢هـ.

(٢) يستثني من ذلك ما صنعه صاحبَا موسوعةِ الوجوه والنظائر/ د. أحمد بن محمد البريدي، د. فهد بن إبراهيم الضالع حيث أفردا قسما من أقسام الموسوعة أطلقا عليه "ما زاد عن كلمة واحدة في الوجوه والنظائر" ذكرا فيه خمسة عشر تركيبا، وسيأتي بيان ما يتعلق بمنهج هذه الموسوعة وبعض الملحوظات المتعلقة بها في أثناء الحديث عن كتب الوجوه والنظائر في المطلب الخامس بإذن الله تعالى.

المطلب الرابع: علم الوجوه والنظائر بين المؤيدين والمعارضين.

هناك اتجاهان مشهوران إزاء علم الوجوه والنظائر والعناية بدراسته:

الاتجاه الأول: وهو المؤيد لدراسة هذا العلم والتوسع فيه وعليه الأكثرون، ويشيد أصحابه بعلم الوجوه والنظائر، ويبرزون أهمية دراسته، ويعدونه نوعا مهما من أنواع علوم القرآن، ولا أدلَّ على هذا الاتجاه من كثرة المصنفات التي وصلتنا منذ القرن الثاني في تعداد الوجوه والنظائر في القرآن الكريم.

ومن دعائم هذا الاتجاه وبيان أهمية هذا العلم:

- قولهم: **إنَّ الوجوه والنظائر تُعَدُّ لونا من ألوان الإعجاز في القرآن الكريم.**

قال الزركشي:" وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجها أو أكثر أو أقل ولا يوجد ذلك في كلام البشر"(١).

معرفة الوجوه والنظائر تنبئ عن فقه الرجل، واتساع فقه، وحسن تدبره ويستندون في ذلك إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا:" "لا يكون الرجل فقيها كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة"(٢)، وهو وإن كان لا يصح مرفوعا فقد جاء موقوفا على أبي الدرداء رضي الله عنه بلفظ: «إنك

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ١٠٢).

(٢) أخرجه مقاتل بن سليمان في الوجوه والنظائر صـ١٨ مرسلا، ومقاتل محله عند أهل التفسير محل كبير لكن الحفاظ ضعفوه في الرواية، وتركوه ومنهم من قضى بكذبه، فحديثه لا يصح، وقد أخرج الحديث ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله(٢/ ٨١٢) من طريق أبي قلابة، عن شداد بن أوس، عن النبي صلى الله عليه وسلم لكن بلفظ قال: «لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله ولا يفقه العبد كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة» وقال ابن عبد البر عقبه: «صدقة بن عبد الله هذا يعرف بالسمين، هو ضعيف عندهم مجمع على ضعفه، وهذا حديث لا يصح مرفوعا وإنما الصحيح فيه أنه من قول أبي الدرداء»[جامع بيان العلم وفضله- لابن عبد البر- دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية- الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، وتهذيب التهذيب- لابن حجر العسقلاني (١٠/ ٢٨٤)- مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند- الطبعة الأولى، ١٣٢٦ هـ].

لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها كثيرة»[١].

الاتجاه الثاني وهو الرافض له: يرى أصحابه أن هذا العلم لا طائل من ورائه، ولا حاجة إلى دراسته أو بذل جهد فيه على التحقيق.

والدافع لأصحاب هذا الاتجاه: **إما** إنكارهم وقوع المشترك اللفظي في اللغة من الأساس؛ لأنه يؤدي إلى التعمية، والمفسدة لعدم إفهامه الغرض والمعنى المقصود من الواضع، والوجوه والنظائر عندهم من المشترك الذي ينكرونه، **وإما** لأنهم يرون أنَّ ما ذكره أصحاب الوجوه والنظائر تكثير بلا جدوى؛ لأنه يمكن رد هذه الأوجه وإن كثرت إلى أصل واحد، ومعنى واحد هو معناها في كل المواضع لا تخرج الكلمة أو التركيب عنه، وأنها ليست من المشترك في شيء؛ بل هي ذات معنى واحد متفق.

ونجد لهذا الاتجاه سلفا في القرن الرابع عند الحكيم الترمذي المتوفى (نحو٣٢٠هـ) ، وذلك في كتابه (تحصيل نظائر القرآن) وندعه يبين سبب تصنيفه هذا الكتاب قال في مقدمته:" فإنا نظرنا في هذا الكتاب المؤلف في نظائر القرآن[٢]، فوجدنا الكلمة الواحدة مفسرة على وجوه فتدبرنا ذلك فإذا التفسير الذي فسره: إنما اختلفت الألفاظ في تفسيره، ومرجع ذلك إلى كلمة واحدة، وإنما انشعبت حتى اختلفت ألفاظها الظاهرة الأحوال، التي إنما نطق الكتاب بتلك الألفاظ من أجل الحادث في ذلك الوقت"[٣]، ثم لم يلبث أن طبَّق ذلك على إحدى وثمانين كلمة مما ذكره أصحاب الوجوه والنظائر فردَّ الوجوه الواردة

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات، وابن أبي شيبة في مصنفه وغيرهما بسند صحيح إلى أبي قلابة عن أبي الدرداء رضي الله عنه وتقدم في الحاشية السابقة قول ابن عبد البر" وإنما الصحيح فيه من قول أبي الدرداء" [ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣٥٧) – دار صادر– بيروت– الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م، ومصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٤٢) [مكتبة الرشد – الرياض– الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ .

(٢) يحتمل أنه صنف هذا الكتاب في الرد على كتاب الوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان كما يظهر من الكلمات التي تتبعه فيها، ولكن لا نقطع بذلك لأن كل من جاء بعده قد اقتفوا أثره في الكلمات التي ذكرها، ومنهم من زاد عليه، فسواء كان الرد عليه أم على أحد ممن جاء بعده فالمقصود بهذا الرد يتجه إلى الاتجاه الذي تبناه علماء الوجوه والنظائر.

(٣) تحصيل نظائر القرآن للحكيم الترمذي صـــ١٩– تحقيق وضبط حسني نصر زيدان– الطبعة الأولى١٣٨٩هـــ– ١٩٦٩م.

في كل كلمة منها إلى وجه واحد، ومعنى جامع.

وهذا الذي ذكره الحكيم الترمذي له حظ من النظر، وإن خولف في بعض ما ذهب إليه، وفي بعض المعاني الجامعة التي ردَّ إليها بعض الكلمات لكن يبقى أنها محاولة لها حظ من النظر والاعتبار

ولكن هذا الاتجاه قد خطا خطوات أخرى في عصرنا هذا حيث ألَّف أحدُ أساتذة اللغة العربية والنحو القرآني – بالموصل- كتابا سمَّاه (لا وجوه ولا نظائر في كتب الوجوه والنظائر) أقام بنيانه على أن الوجوه والنظائر عند أصحابها هي المشترك اللفظي في زعمهم ثم غدا وراح في إبطال ذلك وبيان أن الوجوه والنظائر لا يتحقق فيها شرط المشترك اللفظي المعروف لدى الأصوليين- على ما سبق تعريفه- ثم رتب على ذلك أن صنيعهم تلاعب وتحريف دلالي، ورماهم بما كنت أرغب أن يربأ بنفسه عن رمي هؤلاء العلماء به.

ودونك طرفا مما قاله عن الوجوهيين على حد تعبيره عن أصحاب الوجوه والنظائر يقول:" تبين لي - كما قلت غير مرة- أن منهجهم هو الارتجال، وإظهار مقدرتهم على اختلاق الوجوه بطرق مختلفة، ولو كان على حساب لغة القرآن الكريم وتشتيتها وتشويهها"(١).

ثم تراه قد ختم كتابه بقوله:" كتب الوجوه لا تستحق أن تسمى كتبا، ولو جازت هذه التسمية، فإني أعدها كتبا هدَّامة؛ لأنها هدمت ما بنته كتب متشابه القرآن، وكتبا صبيانية؛ إذ إني واثق كل الثقة من أني أستطيع أن أجعل طالبا في الثالث المتوسط أن يصنف كتابا في الوجوه، بعد أن أعلمه الطريقة التي اتبعها أهل الوجوه في تأليف كتب الوجوه"(٢).

والحق أن طريقة أهل الوجوه لم يحكم الأستاذ نفسُه معرفةَ مرادهم منها فضلا عن أن يعلمها لتلاميذه، وقد ألزم هؤلاء العلماء بما ليس بلازم لهم، وذلك أنهم حين أوردوا هذه الوجوه لم يذكروها على أنها من المشترك اللفظي الذي يكون كل معنى فيه حقيقة مختلفة عن الآخر، بالوضع الأول على السواء في

(١) لا وجوه ولا نظائر في كتب الوجوه والنظائر د. عبد الجبار فتحي زيدان صـــ١٠٨- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، وينظر أيضا صـ٢٣، وصـ١٥٢.

(٢) لا وجوه ولا نظائر في كتب الوجوه والنظائر صـ٤٥٢، وينظر أيضا صـ٤٨.

لغة واحدة بل إنهم قصـدوا ما هو أوسـع من ذلك بكثير كما قررته في العلاقة بينهما بالحجة والبرهان، ولو أحاط الأسـتاذ بذلك علما ما كان ليخط هذا الكلام بقلمه، وذلك أن الحكم على الشـيء فرع عن تصوره.

ولو أنه حرر كذلك المراد بالنظائر – كما تقدم في تعريفها- لما وجد هناك وجها لذكرها في عنوان كتابه من الأساس إلا من باب إرادته هدم هذا العلم وما كُتب فيه اسما ومضمونا(١).

وأضيف هنا أن أكثر من كتب في الوجوه والنظائر لم يقرن بينها وبين المشترك اللفظي أصلا، ولم يشيروا إليه من قريب ولا من بعيد فمِن أين لأحد أن يلزمهم بأنهم أرادوا بالوجوه والنظائر المشـتركَ ثم يخطئهم في منهجهم، فضـلا عن أن بعض من كتب في ذلك -كمقاتل وهارون بن موسـى ويحيى بن سـلام - كانت كتابتهم أسـبق مما اصـطلح عليه الأصـوليون في تعريف المشـترك فهل يحاكم المتقدم باصطلاح المتأخر؟!

وأيضا فبعض من كتب في الوجوه والنظائر -كأبي هلال العسكري صاحب الفروق اللغوية، وأبي الفرج ابن الجوزي -كان يبدأ كثيرا بذكر الأصـل في معنى الكلمة ثم قد يذكر بعض المعاني الأخرى التي ترد في الكلمة على سـبيل الاسـتعارة أو الكناية ثم يذكر الوجوه، ومنها هذه التي صـرَّح بأنها على سـبيل الاستعارة أو الكناية، وأكثر ابن الجوزي من النقل عن ابن فارس صاحب مقاييس اللغة -وهو عمدة في ردِّ المعاني المتعددة إلى أصـولها التي تجمعها- أفلا يدل هذا على أنهم أرادوا بالوجوه ما وردت عليه الكلمة من معانٍ بحسـب سـياقها واسـتعمالها القرآني، فأدخلوا في الوجوه المعنى المجازي عند وجود قرينته، وما خصـصـه السـياق، أو قيده ونحو ذلك مما لا منافاة بينه وبين الأصـل اللغوي، ويكون هذا أولى من الإصـرار على دعوى أنهم أرادوا بها المشـترك ثم رميهم بالتناقض، والتعجب من صـنيعهم، ورميهم بالتحريف عن عمد؟

---

(١) وذلك أن النظائر متحققة سـواء قلنا بالوجوه المتعددة أم لا فلا وجه لنفيها، وعنوان الكتاب ظاهره نفي الوجوه والنظائر كلها في هذه الكتب المؤلفة، والواقع أنه اسـتثنى من ذلك في أثناء دراسـته خمس كلمات وهي: النجم، واللام، وإنْ، و "لمَّا"، ولولا.

إن علماء الوجوه والنظائر راموا تيسير فهم كتاب الله للمسلمين، ورأوا أن المعنى اللغوي الأصلي للكلمة قد لا يكفي في الدلالة على هذا المقصود؛ لاتساعه حينا، أو أن اللفظ قد صار منقولا عن معناه اللغوي إلى معنى شرعي أو مجازي ونحو ذلك فذكروا تلك الوجوه تيسيرا لا تحريفا للدلالة كما زعم الأستاذ.

وليس هذا الصنيع من هؤلاء العلماء بمستلزمٍ الغفلة -بله قصد الهدم كما هو مزعوم- عمَّا التمسه علماء توجيه متشابه النظم القرآني من أسرار في التعبير القرآني، أو عن البحث عما في تعبير القرآن من دقة وإبداع وإعجاز انطلاقا من أن كل كلمة قرآنية جاءت في موضعها متمكنة فيه بما لا يسد غيرها مسدها لكن مرادهم من ذكر الوجوه التيسير وربط الكلمة بسياقها، واستعمالها القرآني، ونحو ذلك مما سأبينه بإذن الله- في أسباب تعدد الوجوه.

وصفوة القول أنَّ هذا المنحى في هذا الاتجاه الثاني بهذه الطريقة غير مقبول لما بينت بإيجاز يناسب المقام، وأما الرد المفصل على هذا الكتاب وما فيه من مغالطات، وأخطاء، ونيل من جماهير المفسرين فله مقام آخر.

ويبدو أن هذا الأستاذ لم يقف على كتاب الحكيم الترمذي، وإن وافقه في مواضع كثيرة من أن هذه الأوجه المذكورة مردها إلى معنى واحد يجمعها، لكنه لم ينقل عنه شيئا، ولم يجعله من مصادره، كما أنه لم يشر إليه من قريب أو بعيد، وعلى كل حالٍ فأقول: ليته وقف حيث وقف الحكيم إذاً لسهل الخطب، واتسع الأمر، ولكنه تجاوز فخالف مقتضى الحكمة ونسأل الله العدل والإنصاف والسداد.

وبعد بيان هذين الاتجاهين، وما احتج به كلٌّ منهما لعلك تسأل عن الموقف من كلِّ اتجاهٍ، وعن المنهج الأمثل والسبيل الأقوم والرأي المختار في التعامل مع علم الوجوه والنظائر، وأجيبك فأقول :

أما الموقف من الاتجاه الأول المتوسع في الإشادة بهذا العلم فيتمثل فيما يأتي:

أولا: التسليم له بأن علم الوجوه والنظائر له أهميته في تيسير فهم معاني القرآن، وإزالة اللبس عن فهم بعض الآيات التي وردت فيها كلمات أو تراكيب متكررة بمعانٍ مختلفة وهو بذلك يعد علما" يكشف عن مراد الله- تعالى- من كلامه العزيز في مواضعه المختلفة بحسب ما يؤدى إليه سوابق الكلام

ولواحقه؛ إذ كل لفظ في موضع قد يختلف عن مثله في موضع آخر أو في عدة مواضع، فلو حمل اللفظ على معنى واحد في كل المواضع لأدى ذلك إلى التعارض والتناقض والجهل بما وراء المعاني من المقاصد"[١].

ثانيا: عدم التسليم بالتكلف في التماس الأوجه المتعددة بدعوى أن فيها لونا من ألوان إعجاز القرآن بإطلاق؛ وذلك لأن الأصل ورود الكلمة لمعنى واحد في جميع مواضع ورودها، والمحافظة على هذا الأصل أولى، وإذا كان الأصوليون قد قرروا أن الاشتراك خلاف الأصل [٢] فنقول أيضا: تعداد الوجوه في معنى الكلمة خلاف الأصل الذي هو الإبقاء على معناها اللغوي دون زيادة عليه أو تقييد له، فلا يصار إلى غيره إلا بحجة.

وقد قال أبو علي الفارسي:" اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغي أن لا يكون قصدا في الوضع ولا أصلا له" [٣].

وإذا كان المقصود من ذكر الوجوه تيسير التفسير، فلا ينبغي أن يتجاوز به مواضع الحاجة إليه، ومن ثَمَّ فقد يستغنى بالمعنى الأصلي عما ذُكر من وجوه لبعض الكلمات الموجودة في كتب الوجوه والنظائر، وقد يستغنى ببعض الوجوه للكلمة الواحدة عن بعض، ويقتصر على ما تمس الحاجة لذكره منها.

ثالثا: وأما ما ورد من أن للقرآن وجوها وأن الرجل لا يكون فقيها حتى يرى له وجوها ففي تأويله أوجه لأهل العلم فقد قيل: هو أن تَرى لَهُ مَعَانِيَ يَحْتَملُها، فتَهابُ الإقْدامَ عَلَيْهِ، وقد فسره بعضهم بأن المراد أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة، ولا يقتصر به على معنى واحد، وأشار آخرون إلى أن المراد به استعمال الإشارات الباطنة بضوابطها، وعدم الاقتصار على

---

(١) الموسوعة القرآنية المتخصصة» (١/ ٦٠٢) – مقال أ. د محمد بكر إسماعيل–الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر– عام النشر: ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

(٢) قال السيوطي في المزهر في علوم اللغة (١/ ٢٩٣):" ولا خلاف في أن الاشتراك خلاف الأصل"، وينظر: كشف الأسرار شرح أصول البزدوي لعلاء الدين البخاري الحنفي (١/ ٣٩) –دار الكتاب الإسلامي.

(٣) ينظر: المخصص لابن سيده (٤/ ١٧٣) – دار إحياء التراث العربي – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ١٩٩٦م.

التفسير الظاهر[١].

- وأما الموقف من الاتجاه الثاني فيمكن بيانه على النحو الآتي:

١- عدم التسليم بأن علم الوجوه والنظائر لا جدوى من دراسته، ولا طائل من معرفته.

٢- هناك مغالطة في فهم المراد من علم الوجوه والنظائر، ودعوى أنه والمشترك اللفظي شيء واحد غير صحيحة لما سبق بيانه في وجه العلاقة بينهما.

على فرض أن الوجوه هي المشترك فدعوى إنكار المشترك مطلقا مردودة؛ إذ الأكثرون على وجوده ووقوعه، وأنه ممكن عقلا وواقع فعلا لكنه ليس بكثير، وله أسباب، و "من التعسف محاولة إنكار المشترك إنكار تاما وتأويل جميع أمثلته تأويلا يخرجها من هذا الباب، وذلك أنه في بعض الأمثلة لا توجد بين المعاني التي يطلق عليها اللفظ الواحد أية رابطة واضحة تسوغ هذا التأويل.." [٢]. وأما دعوى أنه يؤدي إلى التعمية وحصول المفسدة مردودة بأنه مع وجود السياق الذي يتضمن القرينة المحددة للمعنى المراد فلا تعمية ولا لبس.

٣- التسليم بأن كثيرا مما ذُكر في كتب الوجوه والنظائر جاء على وجه التساهل، وأنه محل نظر من جهة أنه تكثير للوجوه بدون مُوجِب، وأنه يمكن في كثير مما ذكروه ضم بعض الوجوه إلى بعض، بل ورد هذه الوجوه إلى أصل واحد يجمعها تكون هي أفرادا أو أنواعا له، ويتحقق المراد من الآية به؛ ولذا فالأولى الاكتفاء بالوجوه المتمايزة المختلفة في معناها باعتبار من الاعتبارات المقصودة من السياق.

وقد أحسَّ ابن الجوزي بذلك في مصنفات من سبقه بالتأليف في هذا الفنِّ فقال:" وَقد تجوز واضعوها فَذكرُوا كلمة وَاحِدَة مَعْنَاهَا فِي جَمِيع الْمَوَاضِع وَاحِد. كالبلد، والقرية، وَالْمَدينَة، وَالرجل، وَالْإِنْسَان، وَنَحْو ذَلِك. إِلَّا أَنه يُرَاد بِالْبَلَدِ فِي هَذِه الْآيَة غير الْبَلَد فِي الْآيَة الْأُخْرَى، وبهذه الْقرْيَة غير الْقرْيَة فِي الْآيَة

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/ ١٥٩) - المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، والإتقان في علوم القرآن» (٢/ ١٤٤).

(٢) فقه اللغة د. علي عبد الواحد وافي صـ١٤٦ - دار نهضة مصر - الطبعة الثالثة ٢٠٠٤م.

الْأُخْرَى. فحذوا بذلك حَذْو الْوُجُوه والنظائر الْحَقِيقِيَّة. فَرَأَيْت أَن أذكر هَذَا الِاسْـــم كَمَا ذَكرُوهُ وَلَقَد قصد أَكْثَرهم كَثْرَة الْوُجُوه والأبواب، فَأتوا بالتهافت العجاب"[١].

وقد اعترف أيضـا في آخر كتابه بتسـاهله في إيراد كثير من الوجوه فقال:" فَهَذَا آخر مَا انتخبت من كتب الْوُجُوه والنظائر الَّتِي رتبها المتقدمون. ورفضت مِنْهَا لَا يصلح ذكره. وزدت فِيهَا من التفاسير المنقولة مَا لَا بَأْس بِهِ. وَقد تســاهلت فِي ذكر كَلِمَات نقلتها عَن الْمُفَسّــرين، لَو ناقش قَائِلهَا مُحَقّق لجمع بَين كثير من الْوُجُوه فِي وَجه وَاحِد. وَلَو فعلنَا ذَلِك لتعطل أَكثر الْوُجُوه وَلَكنَّا تســاهلنا فِي ذكر مَا لَا بَأْس بِذكرِهِ من أَقْوَال الْمُتَقَدِّمين. فليعذرنا المدقق فِي الْبَحْث..."[٢] ، وقال أيضـــا:" مع أنه لا بد من التساهل"[٣].

ونستنتج مما سبق أنَّ المنهج الأمثل والموقف الأقوم في التعامل مع علم الوجوه والنظائر والكتب المؤلفة فيه يتجلى بمراعاة أمور يجتمع بها محاسن الاتجاهين، ويُجتنب ما فيهما من نظر

الأمر الأول: قبول ما صـح –لاسـتناده إلى دليل– من الأوجه المتعددة للكلمات والتراكيب إذا كان بينها تمايز بوجه معتبر، واقتضـاها السـياق، وسـاعدت معرفتها على التفسـير الصـحيح، ودفع الاشـتباه، بأن كان ردها إلى الأصل اللغوي الواحد الجامع لا يفي بهذا الغرض.

وذلك أنه "ربما أريد بالكلمة طرف خاص من غير نظر إلى المعنى الجامع فحينئذٍ تكون حالها حال الكلمة المشتركة"[٤]، ويحسن في مثل هذا إفراد هذا الوجه، وتمييزه عن غيره.

وأقصد بالتمايز بوجه معتبر: ما كان الاختلاف الواقع فيه بين هذه الأوجه بحاجة إلى البيان مثل: ما كان من قبيل الحقيقة والمجاز، والمعنى الأصلي والمنقول، والمشترك، ونحو ذلك من أوجه معتبرة.

وإذا أردت دليلا على أهمية العلم بالوجوه والنظائر فيما تحققت فيه تلك الضـــوابط ولو كان من غير

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر صـ٨٣-٨٤.

(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر» صـ٦٤٣.

(٣) المنتخب من قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر لابن الجوزي صـ٢٥- طبعة منشأة معارف بالإسكندرية.

(٤) معاجم مفردات القرآن(موازانات ومقترحات) أ.د أحمد حسن فرحات صـ٤٠- طبعة مجمع الملك فهد.

المشترك فدونك هذا المثال: كلمة "المحصنات" أصل المادة "حصن" يدل على معنى الحفظ والمنع.

يقول أبو هلال العسكري: "أصل الكلمة من المنع، ومنه الحصن لمنعه لما فيه، وامرأة حصان لمنعها فرجها"(١)، وقال الراغب الأصفهاني:" الحصان في الجملة: المُحْصَنَة، إما بعفّتها، أو تزوّجها، أو بمانع من شرفها وحريتها"(٢).

وإذا نظرنا إلى مواضع ورود كلمة(محصنات) في القرآن الكريم نجد أنه قد أريد بالمحصنات الحرائر كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النساء:٢٥] ، وسميت الحرة محصنة؛ لأنَّهَا تحصن أي: تمنع، وليست كالأمة تبتذل وتمتهن، وأريد بالمحصنات المتزوجات كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء:٢٤]، وسُمِّيت المتزوجة محصنة، لأنها دخلت في حصن الزوج وعصمته وحمايته، وأريد بالمحصنات: العفيفات كما في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ **[النساء:٢٥]**، ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وقيل للعفيفة محصنة؛ لأنها عَفَّتْ وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا مِنَ الْفُجُور.

وهذه الأوجه في معنى "المحصنات" قد دل عليه السياق في كل موضع، ولو اكتفى المفسر بالمعنى الأصلي للكلمة "المنع" دون بيان جهة الامتناع لما دلَّ على المقصود، بل ربما توهم امتناعهن عما هو غير مراد؛ لأن بعض هذه الأوجه ممتنع في بعض المواضع لمنافاته للسياق، وبهذا يتبين أن هذه الأوجه قصد بها بيان جهات الإحصان، وليست من المشترك اللفظي؛ -لأن مردها إلى أصل واحد، لكن قبولها والأخذ بها ضروري لدفع الإشكال عن فهم بعض الآيات والله أعلم.

---

(١)الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري صـ٤٤٩- ط: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة- الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، وينظر: مقاييس اللغة- كتاب الحاء- باب الحاء والصاد وما يثلثهما- مادة: حصن (٢/ ٦٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني صـ٢٣٩- دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت-الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.

وهذا ما قصده أصحاب الوجوه والنظائر من تصانيفهم وهي بيان" أن معانيها تختلف، وأنه ليس المراد بهذه اللفظة ما أريد بالأخرى"(١).

وبناء على ذلك فعلم الوجوه والنظائر يشترك مع معرفة مفردات القرآن أو ما صنف في غريب القرآن من حيث إن المراد في كلٍّ الوصـــولُ إلى المعنى وتقريبه إلى الناس، والوجوه أخص ؛ لاقتصـــاره على ما تعددت الوجوه فيه.

الأمر الثاني: ردُّ ما أمكن من الوجوه المذكورة في كتب الوجوه والنظائر إلى المعنى الواحد الجامع إذا كان كافيا في الدلالة على المطلوب من التفسير، والاستغناء به عن تكثير الوجوه دون ضرورة.

ومن الأمثلة على ذلك محاولات عدد من العلماء ردَّ الوجوه الواردة في معنى الهدى في القرآن الكريم إلى معنى واحد يجمعها، ولا يشكل فهم الآيات القرآنية بالاقتصار عليه، مع العلم بأن مقاتلا قد أوصل الوجوه فيها إلى ســبعة عشــر وجها، وابن الجوزي إلى أربعة وعشــرين وجها، والســيوطي إلى ســبعة وعشرين وجها.

قال ابن عطية:" والهداية في اللغة الإرشــاد، لكنها تتصــرف على وجوه يعبر عنها المفســرون بغير لفظ الإرشــاد، وكلها إذا تؤملت رجعت إلى الإرشــاد"(٢)، وعقب الفيروز آبادي على كلامه بقوله:" وهو صحيح، ولم يذكر أَهل اللغة فيها إِلاّ أَنَّها بمعنى الإِرشاد، والأَصل عدمُ الاشتراك"(٣).

قلت: ولعل الأولى أن نقول هنا: الأصــل عدم تعدد المعاني أو الأوجه للفظ الواحد من غير ضــرورة، والأوجه المذكورة في معنى الهدى يجمعها المعنى العام للكلمة، وليســت معاني متباينة الأصــول، متقطعة الوشائج، فليست من المشترك اللفظي بالمعنى الأصولي(٤).

ومما يجدر الاهتمام به هنا تحرير المعنى الجامع والأصــل الحقيقي الذي تعود إليه الكلمة في جميع

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر صـ٨٣.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (١/ ٧٣) دار الكتب العلمية – بيروت–الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٥/ ٣١٢) للفيروز آبادي– المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.

(٤) ينظر: المشترك اللفظي بين النظرية والتطبيق صـ٢٣٠.

مواردها فمثلا: ذهب الحكيم الترمذي إلى أن كلمة الهدى تعود إلى أصـــل واحد وهو الميل، بينما خالفه غيره -وقولهم أقوى-في أنه الإرشاد أو الدلالة على طريق من شأنه الإيصال [١].

الأمر الثالث: استقراء جميع المواضع الواردة في المفردة أو التركيب، **والاعتناء بضم النظير إلى نظير**؛ إذ بذلك تتم الفائدة، ويتحقق المقصود من تيسير الفهم، ورفع الإشكال عن الدارسين للتفسير.

هذا حاصل ما تنبغي مراعاته عند البحث في علم الوجوه والنظائر والله أعلم.

المطلب الخامس: نبذة عن أبرز كتب الوجوه والنظائر، وأهم سماتها المشتركة.

يقف الناظر في علم الوجوه على مصـنفات كثيرة في هذا العلم منذ عهد مبكر، ولعل أقدم مؤلف وصـل إلينا هو كتاب الوجوه والنظائر لمقاتل بن ســليمان ثم تلاه عدد من العلماء أفادوا منه، ودرجوا على منواله مع تنقيح من بعضهم بإضافة أو حذف أو تحرير في أوجه، ونحو ذلك.

ودونك ذكرا لبعض هذه الكتب المطبوعة التي صــنفت في علم الوجوه والنظائر مرتبة بحســب وفيات أصحابها.

١ -**الوجوه والنظائر** لمقاتل بن سليمان(ت ١٥٠ هـ)، ويعد عمدة لمن صنف بعده، وإذا كان الإمام الشافعي قد جاء عنه أن الناس عيال على مقاتل في التفسير [٢]فكذلك هم عيال عليه في هذا العلم أيضا.

وهذا الكتاب قد طبع عدة طبعات، وبينها بعض اختلاف وتفاوت، وعلى كل حال ففيه ما يربو عن مائة وخمس سبعين كلمة درس الوجوه والنظائر الواردة فيها، ولم يتبع في ترتيبه للألفاظ نظاما محددا[٣].

---

(١) ينظر: الكليات للكفوي صـــ٩٥٢-مؤسسة الرسالة - بيروت، وإتقان البرهان في علوم القرآن د. فضل حسن عباس (٢/ ٢٤٢)- دار النفائس- الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ-٢٠١٠م.

(٢) ينظر: مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٥٢٣) - تحقيق السيد صقر- ط: مكتبة دار التراث – القاهرة- الطبعة: الأولى، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م، وتقدم أنه متروك في الرواية.

(٣) ينظر في بيان عدد الوجوه و الاختلاف الوارد بين الطبعات وما يتصـــل بذلك من علاقة كتاب مقاتل بالكتاب المنسـوب لهارون بن موسـى بحث: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم بين مقاتل بن سـليمان وهارون بن موسـى د. طه محمد فارس- - مجلة الشرعة الكويتية العدد ١١٦ لشهر مارس سنة٢٠١٩م صـ١٢٧ وما بعدها.

٢-**الوجوه والنظائر لهارون بن موسى** القارئ الأزدي الأعور(ت١٧٠هـ).

٣- **التصاريف ليحيى بن سلام** (ت٢٠٠هـ) .

٤-**الوجوه والنظائر لأبي هلال** الحسن بن عبد الله العسكري (ت٣٩٥هـ).

٥-**وجوه القرآن** لإسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري(ت٤٢١هـ).

٦-**الوجوه والنظائر** للحسين بن محمد الدامغاني(ت٤٧٨هـ).

٧-**نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر** أو قرة العيون النواظر في علم الوجوه والنظائر لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي(ت٥٩٧هـ).

٨- " **منتخب قرة العيون النواظر في علم الوجوه والنظائر**" لابن الجوزي وهو اختصار للكتاب الذي سبق، وقال عن سبب اختصاره فقال:" لأن تقليل اللفظ محبوب للحفظة" (١).

هذه الكتب تعد أشهر الكتب المصنفة في علم الوجوه والنظائر، ويضاف إليها ما ذكره العلماء من ذلك في كتب علوم القرآن كالزركشي والسيوطي وغيرهما.

ومما له صـــلة بذلك : عناية بعض العلماء بذكر الأفراد وهي الألفاظ التي جاءت على وجه واحد كما صنع ابن فارس في رسالته: " الأفراد" ونقلها عنه الزركشي والسيوطي؛ فإن لها اتصالا بالوجوه من جهة أن كثيرا مما يذكر في ذلك تكون له استثناءات، وهذه الاستثناءات تمثل في الحقيقة وجها آخر في المراد بالكلمة كما يجده من يقارن بين الأفراد والوجوه، ومن المنظومات في هذا الباب منظومة اسمها: "نظم وجوه البيان في مشتركات القرآن" لعبد الهادي بن رضوان الأبياري(ت ١٣٠٥هـ).

هذا. وقد اعتنى بعض العلماء بنظم الكلمات التي فيها وجوه ونظائر فمن ذلك: منظومة ألفية الغريب لمحمد بن أحمد التُّواتي المعروف بابن العالم(ت١٢١٢هـ) حيث أفرد قسما منها في الوجوه والنظائر اختصه بـ(٣٠٤) بيتا من ألفيته.

هذا. ولبعض المعاصرين جهود تتعلق بهذه الكتب المؤلفة في علم الوجوه والنظائر لعل من أبرزها

١-كتاب:" الوجوه والنظائر دراسة وموازنة" د. سليمان بن عبد الله القرعاوي.

---

(١) منتخب قرة العيون النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي صـ٢٥.

حاول فيه صاحبه أن يقارن بين الوجوه التي ذكرها العلماء في كتبهم، فميز ما زاده بعضهم على بعض، وجعل كتاب مقاتل أصلا للدراسة يبني عليه ما سواه، وقام بترتيب الكلمات ترتيبا هجائيا خلافا للأصل أعني كتاب مقاتل فإنه غير مرتب، وهو جهد مشكور من حيث المقارنة بين هذه الكتب وبيان ما اتفقوا عليه، وما اختلفوا فيه، وقد قصر جلَّ عمله من حيث المناقشة والموازنة على مواضع الاختلاف بينهم دون الاتفاق فقال:" أما ما اتفق الجميع عليه فلا حاجة لي إلى بيانه، فقد جعلت من اتفاقهم كفاية للقارئ ، واتفاق الجهابذة في هذا العلم يغنيني، ولا أدعي لنفسي تفوقا عليهم.." [(١)]، ولا يخفى عليك أن اتفاقهم ليس إجماعا شرعيا يجب الالتزام به ويُمنع الخروج عنه، بل تمكن مخالفته ومناقشته، فدعوى عدم حاجته إلى بيان محل نظر، لا سيما وأن من العلماء من خالفهم في كثير مما ذكروه، ويلاحظ أيضا أن المؤلف لم يحرص على بيان الوجه الجامع بينها، أو ضم بعض الأوجه إلى بعض؛ ليخلص له الأوجه المحررة، ولا تبقى بهذه الكثرة التي لا ضرورة تقتضيها.

٢-موسوعة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم إعداد د. أحمد بن محمد البريدي، د. فهد بن إبراهيم الضالع.

وهذه الموسوعة قصد بها صاحباها الجمع بين كتب الوجوه والنظائر في كتاب واحد بحيث تجتمع جميع هذه الوجوه في مؤلف واحد بترتيب واحد وتناسق معين مما يقرب هذا العلم لطالبه، وذكرا أن هذه هي المرحلة الأولى، ولهما نية في إخراج الكتب المخطوطة وإضافتها إلى الموسوعة في مرحلة ثانية، وإضافة ما ذكره المفسرون في أثناء تفاسيرهم مما يدخل في هذا العلم في مرحلة ثالثة ثم تحقيق ما يصح من هذه الوجوه في معنى الآية وما لا يصح في مرحلة أخيرة[(٢)]، ولكن الموسوعة التي بين أيدينا لا تمثل إلا المرحلة الأولى، ومن ثَمَّ فإن هذه الموسوعة اتسمت بالجمع، وتركَت التحرير والتنقيح لمرحلة متأخرة، وبناء عليه فقد كان هدف هذه الموسوعة جمع جميع الأوجه المذكورة في كتب الوجوه والنظائر، دون عناية بردها إلى وجه أو أصل واحد يجمعها ، وكذلك فإنها لم تعتن بجمع جمع

(١) الوجوه والنظائر دراسة وموازنة" د. سليمان بن عبد الله القرعاوي صـ١ - دار الشروق.

(٢) ينظر: موسوعة الوجوه والنظائر أ.د أحمد بن محمد البريدي، د. فهد بن إبراهيم الضالع-دار التدمرية صـ١-٢.

النظائر في داخل الوجه الواحد، ويبقى شـــيء تميزت به، وهو بيان مأخذ كل وجه دون بيان مســـتند الاســـتدلال ومأخذه فمثلا يذكرون الوجه والشـــاهد عليه يعقبون مأخذ هذا الوجه: الســـياق، أو تفســـير الشـــيء بلازمه، أو ســـبب النزول ونحو ذلك دون بيان المســـتند، أو تحقيق القول فيه، وفي بعض ما ذُكر من هذه المآخذ ما هو محل للتأمل والنظر.

وعلى كل حال فلا شـــك أن هذا العمل لو اكتمل فإنه ســـيكون إضـــافة كبيرة في هذا العلم فأســـأل الله لصاحبيها التوفيق والإعانة.

ومما هو جدير بالذكر هنا أنهما قسَّـما الموسـوعة إلى ثلاثة فصـول، وجعلا الفصـل الثاني منها بعنوان: "ما زاد عن كلمة واحدة في الوجوه والنظائر"، وفيه ذكر لخمسـة عشـر تركيبا هي جملة ما ذُكِر في كتب الوجوه والنظائر من التراكيب، ويلاحظ أنهما سـارا على المنوال العام من هدف الموسـوعة فلم يعتنيا برد التركيب إلى أصل جامع، ولا باستيعاب جميع النظائر، ويمكن استدراك تراكيب أخرى ليست في هذه الموسوعة كما سيأتي بيانه في المبحث الثاني "الدراسة التطبيقية".

أهم السمات المشتركة بين كتب العلماء المتقدمين في الوجوه والنظائر:

١. الاعتماد بصفة غالبة على ما جاء في كتاب "الوجوه والنظائر" لمقاتل بن سليمان؛ ولذا فهو أصل

٢. لجميع من تبعه في التصنيف في هذا العلم سواء كان النقل عنه مباشرة أم كان عمن نقل عنه.

٣. التوسع في ذكر الوجوه وإغفال بعض النظائر المندرجة داخل الوجوه.

يلاحظ على هذه الكتب التوســع في ذكر الأوجه، والاســتكثار منها، وأما النظائر المندرجة في كل وجه فربما اكتفوا ببعضــها وهذا – فيما أحســب– محل نظر؛ وذلك لأن إغفال بعض النظائر داخل الأوجه يجعل الباحث في حيرة، وعجز عن تحديد الوجه الذي تندرج تحته، لا سيما مع كثرة الوجوه وتشعبها. فمثلا كلمة كـــ "الهدى" ذكر لها مقاتل ســبعة عشــر وجها، وفي كل وجه اكتفى بذكر بعض النظائر، وترك كثيرا منها دون بيان وجهه، وهذه قد يقع فيها الالتباس؛ لعدم تحديد الوجه الذي تلحق به منها.

١- عدم الاعتناء – في الأكثر– برد الأوجه المتعددة إلى جامع مشــترك وأصــل واحد يجمع ما تفرق في الوجوه.

ومع ذلك فإننا نجد أن بعضهم كأبي هلال العسكري وابن الجوزي قد اعتنيا بذكر الأصل اللغوي للكلمات قبل ذكر الأوجه فيها، ولكنهما لم يربطا غالبا بين هذا الأصل والأوجه المذكورة بل ربما جعلوا الأصل وجها من الوجوه المذكورة في الكلمة بعد ذلك.

٢- إيراد بعض الأقوال التفسيرية الضعيفة الواردة في بعض الكلمات كأوجه في معنى الكلمة.

٣- تأثر بعضهم بمذهبه العقدي فيما أورده وما أغفله من أوجه.

ومن الأمثلة على ذلك: ما ذكره أبو هلال العسكري من أوجه في معنى السيئات حيث إنه ذكر وجه المعاصي، ومثَّل له بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس:٢٧] وقال:"والمراد أن من يأتي بكبيرة من الكبائر يجازى بما يستحق عليها من غير زيادة"(١)، وهذا موافق لمذهب المعتزلة -وهو واحد منهم- في القول بتخليد أهل الكبائر المصرين عليها في النار ، وأما غيره من علماء الوجوه والنظائر قبله وبعده فلم يذكروا ذلك، وإنما جعلوا هذا الموضع مندرجا في وجه الشرك لا المعاصي بناء على أن معتقد أهل السنة عدم تخليد مرتكبي الكبائر دون الشرك في النار (٢).

هذه أبرز السمات المشتركة بين كتب الوجوه والنظائر، وإن وُجِد تفاوت بين كتاب وآخر منها في ذلك. وهي كما ترى مآخذ واردة على هذه المصنفات، وتقدم في كلام ابن الجوزي التأكيد على أنها مبنية على التساهل في هذا الأمر، وتقدم أيضا بيان السبيل الأقوم في التعامل مع ما في هذه الكتب من وجوه ونظائر.

---

(١) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري صـ٢٥٩.

(٢) ينظر: الوجوه والنظائر لمقاتل صـ١٧٣، والوجوه والنظائر لهارون بن موسى صـ٩١- طبعة وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ووجوه القرآن للحِيري صـ٣١٠، والوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز للدامغاني صـ٢٦٤، ونزهة الأعين النواظر صـ٣٦٢.

المطلب السادس: صور تعدد الوجوه في التراكيب القرآنية، وأثر السياق في ذلك

يقف الناظر في الوجوه والنظائر في التراكيب القرآنية -إذا دقق النظر، وأمعن الفكر- على صـور مختلفة تربط بين هذه الأوجه المتعددة في كل تركيب. ومن أشهر هذه الصور بإيجاز:

١- **تفسير التركيب بالمعنى الحقيقي في وجه، والمعنى المجازي في وجه آخر.**

كالأوجه الواردة في المراد بـــ"ما بين أيديهم وما خلفهم" فبعضـها قائم على المعنى الحقيقي، وبعضها على المعنى المجازي أو الاستعارة كما سيأتي بيانه بإذن الله في الدراسة التطبيقية.

٢- **التفسير بالمثال وذكر بعض أفراد العام أو تخصيص العام في بعض الأوجه.**

ومن ذلك ذكرهم لوجهين في معنى:" الأمر بالمعروف"، وهما من قبيل التفسـير بالمثال، وكذا بعض الأوجه في المراد بـ:" ما ملكت أيمانكم"، وتخصيصها بالسبايا هو من قبيل تخصيص العام، أو ذكر بعض أفراده.

٣- **بيان المبهم.**

ومن الأمثلة على ذلك: الأوجه المتعددة في بيان المراد بـ"ثلاثة أيام"، والمراد بـ "أيام معدودات" في مواضـعهما المختلفة، قصـد به مَن ذَكَرَهما بيانَ الإبهام في تحديد تلك الأيام، لا أن كل تركيب يختلف معناه من حيث هو في مواضع وروده.

٤- **الاشتراك الواقع في أحد أجزاء التركيب.**

ومن ذلك الوجهان الواردان في تفسـير:" فبلغن أجلهن" فإنهما مبنيان على الاختلاف في معنى البلوغ فمن قال: إنه يطلق على الانتهاء والمشـارفة حقيقة جعله من المشـترك، ومن قال على الانتهاء حقيقة فسـيجعل هذا التركيب داخلا في الصـورة الأولى الاختلاف بين الحقيقة والمجاز، ولهذا مزيد بيان في الدراسة التطبيقية.

٥- **تفسير أحد أجزاء التركيب على المعنى اللغوي في وجه، والمنقول إليه شرعا في وجه آخر.**

ومن ذلك الأوجه الواردة في تفسير:" أصـحاب الجنة" فإنها مبنية على تفسير المضـاف إليه الجنة بالمعنى اللغوي في وجه، وبالمعنى المنقول إليه شرعا في وجه آخر.

٦- الاختلاف في جهة الارتباط بين أجزاء التركيب.

ومن ذلك تعدد الأوجه في المراد بـــ" أصحاب النار" فإنه مبني على الاختلاف في جهة ارتباط المضاف بالمضاف إليه؛ إذ الصاحب يكون ملازما لها بسكناها كما في حال المعذبين، أو بالقيام على أمرها كما في خزنتها من الملائكة.

لعل هذه أبرز الصـــور التي وقفت عليها في تعدد الأوجه في التراكيب القرآنية، وتفصـــيل القول في ذلك محله الدراسة التطبيقية على الأمثلة محل الدراسة بإذن الله.

وبقي أمر أختم به هذه الدراسة النظرية وهو الحديث عن أثر السياق في القول بتعدد الأوجه :

هناك أسـباب تدفع للقول بتعدد الأوجه في التراكيب القرآنية،- وهي الأسـباب نفسـها التي تدفع لتعدد الأوجه في المفردات أو الكلمات القرآنية- بيد أن السـياق هو أعظم هذه الأسـباب، وأعمها، وعليه التعويل في كل المواضـع لا يسـتثنى منها شـيء، وذلك أننا حين نتعامل مع القرآن الكريم فإنه لا ينبغي تجريد كلمة منه أو تركيب عن السياق الذي جاء فيه سباقا ولحاقا.

وقد نصَّ علماء العربية على أهمية السـياق في تحديد المراد من الخطاب في كلام العرب بصـفة عامة ومن ذلك قول ابن الأنباري:" كلام العرب يُصـحِّح بعضُـه بعضـًا، ويَرتبِط أَوَّلُه بآخره، **ولا يُعْرَفُ معنى الخطابِ منه إلاّ باستيفائه**، واستكمال جميع حروفه"(١).

وقد أثنى العلماء على صـنيع الراغب الأصـفهاني في مفرداته لاهتمامه ببيان معنى المفردة القرآنية بالسـياق فقال الزركشـي -وهو يتحدث عن كتب غريب القرآن-:" ومن أحسـنها كتاب المفردات للراغب، وهو يتصيد المعاني من السياق؛ لأن مدلولات الألفاظ خاصة"(٢).

وإذا كان السـياق يرشـدُ إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، فإنه يحدد المراد من الكلمة والتركيب،

(١) الأضداد لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري صـ٢- المكتبة العصرية، بيروت – لبنان-عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٩١)، وينظر أيضا: (٢/ ١٧٢).

وبه يندفع الإشكال في فهم معناها" فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته"[١].

ولله درُّ الإمام الشافعي حين قال مقالته المشهورة في التفريق بين آيتي سورة البقرة اللتين فيها ذكر بلوغ الأجلين:" دلَّ سياق الكلامين على افتراق البلوغين"[٢] فقرينة السياق بينت أن بلوغ الأجل في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ البقرة: ٢٣١ بمعنى مقاربة انقضاء العدة، وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ البقرة: ٢٣٢ بمعنى انقضائها بالفعل.

هذا. وتوجد أسباب أخرى للقول بتعدد الأوجه كالاعتماد على ما ورد في سبب النزول، أو الآثار المروية ونحو ذلك، وإنما أردت بيان ما هو أعم، وأوسع أثرا، وأظهر وجودا فيما قيل بتعدد الوجوه فيه؛ ولذا ليس بمستغرب أن يعرف بعض المعاصرين علم الوجوه والنظائر فيقول:" علم دراسة لتعدد الدلالة في سياق القرآن الكريم"[٣].

ومن الدلائل على ذلك أن التركيب قد يرد لمعنيين متقابلين، والذي يعين المراد في كل موضع هو السياق.

ومن ذلك تركيب:" ومن يتول" فإنه قد جاء بمعنى: ومن يعرض عن الإيمان بالله وطاعته، وجاء بمعنى: ومن يتخذ الله وليا أو يكن وليا، وشتان ما بينهما ، والسياق يوضح المراد من ذلك بحسب موضعه الذي ورد فيه.

وسيتجلى ذلك بإذن الله في الدراسة التطبيقية التي وعدت بها مرارا وها هو أوان الشروع فيها ومن الله العون.

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (٤/ ١٣١٤) – دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، والبرهان في علوم القرآن للزركشي(٢/ ٢٠٠).

(٢) هكذا نقله عنه كثير من المفسرين، وهذا قريب مما ذكره الإمام الشافعي في كتابه" الأم" (٥/ ١٢٧) – دار المعرفة – بيروت–سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، وينظر شرح كلامه في: مفاتيح الغيب للرازي (٦/ ٤٥٦) – إحياء التراث العربي – بيروت–الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

(٣) إتقان البرهان في علوم القرآن د. فضل حسن عباس(٢/ ٢٣٥)

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية للوجوه والنظائر في بعض التراكيب القرآنية

أحاول في هذه الدراسة التطبيقية تحقيق ما سبق تحريره، وتقريره في الدراسة التأصيلية -من بيان المنهج الأمثل في دراسة الوجوه والنظائر- من خلال التطبيق على جملة من التراكيب القرآنية المتكررة في القرآن الكريم مراعيا الاستقراء التام لمواضع ورودها في القرآن الكريم، وأحرص على التنويع في اختيار هذه التراكيب، فمنها تراكيب نجد لها درسا وعنوانا في كتب الوجوه والنظائر وهي:" أصحاب النار"، و "ما بين أيديهم وما خلفهم"، و "ما ملكت أيمانكم"، ومنها تراكيب أخرى يحسن إضافتها إلى كتب الوجوه والنظائر وهي على ضربين: تركيب تام بل آية كاملة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠﴾ [الحاقة:٤٠، والتكوير:١٩]، وتركيب غير تام: وهو ما أفاد لكن فائدته غير تامة؛ لافتقاره إلى كلام آخر معه لتتم فائدته كما سبق تعريفه وهي:" أصحاب الجنة، وبلوغ الأجل، ووعد الآخرة، ومن يتول" وهذه التراكيب عموما كما ترى متنوعة فمنها ما كان تركيبه إضافيا، ومنها ما كان من اسم الشرط وفعله، أو الاسم الموصول وصلته وهكذا ، وجملة التراكيب محل الدراسة هنا ثمانية تراكيب أرتبها بحسب الترتيب الهجائي اعتدادا بالكلمة الأولى من التركيب كما هي الطريقة المشهورة عند علماء الوجوه والنظائر.

وقد كنت أرغب في المزيد من الأمثلة لكنني رأيت أن المقام سيطول؛ وذلك لأنني أخذت على نفسي الاستقراء لمواضع ورود كل تركيب في القرآن، حتى أُبَيِّنَ ما في كل تركيب من نظائر كما أُبَين ما فيه من وجوه؛ لما علمتَ سابقا أنها الطريقة المثلى في الدراسة، ولك أن تعلم هنا أن تركيب:" ما بين أيديهم وما خلفهم" ، وما يلحق به مثل: "من بين يديه ومن خلفه" قد ورد في ستة عشر موضعا على أوجه متعددة قمت بدراستها موضعا موضعا لتحرير ما فيها من وجوه، ونظائر، وهكذا صنعت في التراكيب الأخرى، وإن لم تكن بهذا العدد، ولعل دراسة هذه التراكيب بهذه الطريقة تفتح مجالا لدراسة ما لم يذكر منها، وليس في التراكيب فحسب، وإنما في المفردات أيضا، وأسأل الله التوفيق والسداد.

التركيب الأول: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾

ينتظم البحث في هذا التركيب على النحو الآتي:

أولا: مواضع ورود هذا التركيب في القرآن الكريم.

ورد هذا التركيب الإضافي أربع عشرة مرة في ثلاث عشرة آية حيث إنه قد تكرر ذكره في آية واحدة مرتين، وهي قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠]

ثانيا: المراد بالجنة في اللغة وفي الاصطلاح الشرعي:

أصل المادة: "جَنَّ" يدل في اللغة على معنى الستر، والتستر[١]، وكيفما دارت هذه المادة دلت على الستر. ومنه الجن: لاستتارهم عن العيون، والأجنة: جمع جنينٍ وهو ما في البطن لاستتاره في الرحم.

والجنة قيل: هي في الأصل البستان ذو الشجر الساتر بأشجاره الأرض، وقد يطلق على الأشجار نفسها جنة[٢]، كأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرّة، من مصدر جنه إذا ستره، كأنها سترة واحدة لفرط التفافها[٣].

والجنة في الاصطلاح الشرعي: غلب إطلاقها على دار الثواب في الآخرة، وهي بذلك منقولة شرعية على سبيل التغليب [٤].

وسميت الجنّة إمّا تشبيها بجنَّة الأرض- وإن كان بينهما بون-؛ لكثرة ما فيها من الجنان، وإمّا لستره نعمها عنّا المشار إليها بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ {السجدة:١٧} [٥]

---

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بتبويب النووي- كتاب الإيمان- بابُ إِثْبَاتِ الشَّفَاعَةِ وَإِخْرَاجِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ- حديث رقم (٣٠٦).

(٢) ينظر: عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (١/ ٣٤٨) دار الكتب العلمية- الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

(٣) الكشاف لمحمود بن عمر الزمخشري (١/ ١٠٦) - دار الكتاب العربي - بيروت.

(٤) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي (٢/ ٣٥٥) جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم-الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٥/ ١٣٨) دار صادر - بيروت.

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن صـ٢٠٤، والكشاف (١/ ١٠٦).

قال أبو السعود:" وإنّما سميت دار الثواب بها مع أنّ فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور؛ لما أنّها مناط نعيمها ومعظم ملاذّها"(١).

ثالثا: المراد بهذا التركيب في مواضع وروده:

جاء هذا التركيب في جميع مواضع وروده على مراد واحد -وهو أن أصحاب الجنة: هم المؤمنون الموعودون بالإقامة الدائمة في دار الثواب في الآخرة- إلا موضعا واحدا -وهو الأخير بحسب الترتيب المصحفي- أريد به أصحاب بستان من بساتين الدنيا، وأطلقت الجنة فيه مرادا بها المعنى اللغوي، أريد بالجنة فيه المعنى اللغوي لها وهو البستان ذو الشجر الساتر بأشجاره الأرض، وأريد بأصحابها: المالكون لهذا البستان في الأرض، وهذا الموضع هو قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ القلم: ١٧، وهذه الآيات مسوقة لذم حالهم، وبيان بُخلهم وإعراضهم عن شكر ربهم عز وجل ، وما لحقهم بسبب ذلك ، ولا يضرنا الجهل بتحديد هذا البستان ومكانه، وأسماء أصحابه، وصفتهم؛ إذ لو كان فيه ذلك نفع لبينه الله عز وجل لنا.

والمصنفون في الوجوه والنظائر لم يخصوا هذا التركيب ببحث لكن الحسين بن محمد الدامغاني عرض له عند ذكر الوجوه في كلمة الجنة التي بلغ بها تسعة أوجه ضمنها كل ما يتصل بمادة الاجتنان التي هي بمعنى الستر فذكر منها دار الثواب مستدلا بآيات فيها ذكر الجنة فحسب ، والبستان في الدنيا مستدلا بآية سورة القلم(٢).

رابعا: نوع الاختلاف في هذا التركيب وسببه:

الاختلاف في هذا التركيب: اختلافٌ في المراد بالمضاف إليه "الجنة"، وقد أدى إلى الاختلاف في التركيب، وهو مبني على إطلاق كلمة "الجنة" على المعنى اللغوي في موضع سورة القلم، وإطلاقها على المعنى المنقول إليه في عرف الشرع في المواضع الأخرى، وليس هذا من قبيل المشترك اللفظي عند الأصوليين؛ لأن المنقول لم يوضع له اللفظ بالوضع الأول كما هو في المشترك.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/ ٦٩) - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) ينظر: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز صـ١٥٣.

وسـبب تعدد المراد في هذا التركيب: اختلاف السـياق حيث إن آية سـورة القلم تتحدث عن أناس امتلكوا بستانا -وهو المراد بالجنة- فوقع منهم الظلم، ومنع المساكين حقوقهم فعوقبوا بحرمانهم من ثمارها، وأما المواضـع الأخرى فهي دار الثواب؛ لأنها ذكرت في سـياق الحديث عن المؤمنين وبيان جزائهم، وكثيرا ما تكون في مقابلة جزاء الكافرين أصحاب النار.

خامسا: موقع هذا التركيب من الوجوه والنظائر والكليات القرآنية.

يظهر مما سـبق أن هذا التركيب يدخل في الوجوه والنظائر من جهة أنه ورد في القرآن مرادا به وجهان أحدهما الاستعمال الشرعي لـ "الجَنَّة" وهو الأغلب، والمعنى اللغوي في موضع واحد، وهذا مما يُقبل عند علماء الوجوه والنظائر بناء على أن الوجوه أعم من المشـترك كما بينته في الدراسـة التأصـيلية، ويمكن جعل هذا التركيب في كليات التراكيب القرآنية؛ لأنه ورد في كل المواضـع مرادا به أهل دار الثواب في الآخرة باسـتثناء موضـع واحد أريد به مالكو البسـتان في الدنيا فيمكن لنا أن نقول: "كل "أصـحاب الجنة" في القرآن فهم المؤمنون أهل دار الثواب في الآخرة إلا ما ورد في موضـع سـورة القلم فالمراد بهم أصـحاب بسـتان معين في الدنيا"، وتكون هذه المواضـع باسـتثناء هذا الموضـع نظائر فيما بينها والله أعلم.

التركيب الثاني: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾

أولا: مواضع ورود هذا التركيب في القرآن الكريم

ورد هذا التركيب الإضـافي في القرآن الكريم عشـرين مرة منها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ البقرة:٣٩، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ غافر: ٦

ثانيا: الأصل في كلمة: "أصحاب"

أصحاب جمع صاحب، وأصل الصحبة على رأي بعض أهل اللغة: مطلق الاقتران بالشيء، والاجتماع طال الزمن أو قصـر[1]، وعلى رأي فريق آخر: الصـحبة الأصـل فيها الملازمة، وقد تسـتعمل في مجرد

(١) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (١/ ٢٧٦)-دار الفكر- بيروت، وعمدة الحفاظ (٢/ ٣٢٠).

الاقتران. والصاحب: الملازم إنسانًا كان أو حيوانًا أو مكانًا أو زمانًا(١).

وعلى كلا القولين فإنه قد غلب إطلاقها في العرف فيمن كثرت ملازمته(٢).

قال ابن عاشور:" و «الصاحب» حقيقته: الذي يلازم غيره في حالة من سفر أو نحوه، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ يوسف: ٤١، وسميت الزوجة صاحبة، ويطلق مجازا على الذي له مع غيره حادث عظيم وخبر، تنزيلا لملازمة الذكر منزلة ملازمة الذات"(٣).

ثالثا: المراد بالنار في هذا التركيب

النار -أعاذنا الله منها- أريد بها في هذا التركيب في كل مواضعه: دار العقاب في الآخرة كما هو استعمالها المتبادر في عرف الشرع، وإنما سميت دار العقاب بالنار؛ لكونها أعظم أنواع العقاب على سبيل الغلبة، وإن اشتملت على الزمهرير والمهل والضريع وغير ذلك، ولولا ذلك لما كان يغني عن المذكورات طلب الوقاية عن مطلق النار(٤).

رابعا: المراد بهذا التركيب في مواضع وروده، وموقعه من كتب الوجوه والنظائر

جاء هذا التركيب في تسعة عشر موضعا مرادا به أهل النار الساكنون فيها المقيمون بها المعذبون بعذابها وجاء في موضع واحد -وهو الموضع الأخير منها بحسب الترتيب المصحفي- مرادا به خزنتها الموكلون بها، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ المدثر: ٣١، فإن الملائكة خزنة النار لا المعذبون بها كما هو واضح، وقد قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ﴾ الزمر: ٧١، وقال تعالى﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ غافر: ٤٩

هذا. وقد نبه ابن فارس في كتاب الأفراد على ذلك حين قال كما نقله عنه الزركشي والسيوطي:" كل ما

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن (١/ ٤٧٥)، والمعجم الاشتقاقي المؤصل (٣/ ١١٩٧).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (١/ ٤٧٥)، والبحر المحيط (١/ ٢٧٦).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ١٩٤) - الدار التونسية للنشر - تونس- سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

(٤) فتوح الغيب (٢/ ٣٥٤-٣٥٥)، (٨/ ٢٠٢).

في القرآن من أصـــحاب النار فهم أهل النار إلا قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ المدثر: ٣١ فإنه يريد خزنتها"[١]، وأفرد إســماعيل بن عبد الرحمن الحيري(ت ٤٣٠ هـــ) هذا التركيب بالبحث في كتابه "وجوه القرآن" ، وذكر الوجهين في المراد منه، ثم ذكر بعد ذلك كلمة الصــاحب منفردة وذكر الأوجه فيها [٢] ، وأما غيره من المصــنفين كابن الجوزي فلم يخص هذا التركيب ببحث وإنما اكتفى بذكر الأوجه في كلمة الصاحب فنقل عن المفسرين في الصاحب تسعة أوجه كان من بينها السَّاكِن واستدل له بقوله تَعَالَى :﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ الأعراف: ٤٤ ، وقولـه تعـالى:﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ الأعراف: ٥٠، وذكر من الأوجه أيضا: الخازن مستدلا له بآية سورة المدثر[٣] ، والذي يبدو لي أن كل الأوجه التي ذكرها في معنى الصــاحب لا تخرج عن المعنى الأصــلي للصــاحب من الاقتران أو الملازمة.

خامسا: نوع الاستعمال في هذا التركيب وسبب تعدد المراد منه:

اســتعمال هذا التركيب في معنييه وهما (الســاكنون في النار، وخزنة النار) اســتعمال حقيقي وذلك أن الســاكن والخازن عبر عنهما بالصــاحب لملازمتهما لهذه النار، وإن اختلف وجه الملازمة والاقتران بها، وبناء عليه فتعدد المراد بهذا التركيب ســببه اختلاف نوع الملازمة المســتفادة من المضــاف "أصحاب" إلى المضاف إليه "النار" في كلٍّ، وذلك راجع إلى قرينة السياق حيث امتنع في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ المدثر: ٣١أن يراد بالأصــحاب الســاكنون المقيمون بها لكونهم ملائكة لا يعصون ولا يُعذَّبُون.

سادسا: صلة هذا التركيب بالوجوه والنظائر والكليات القرآنية

يظهر مما ســبق أن هذا التركيب يدخل في الوجوه والنظائر من جهة أنه ورد في القرآن مرادا به وجهان، وإن كان أصل المعنى للأصحاب لم يغب عنهما، كما يدخل هذا التركيب في كليات التراكيب القرآنية؛

(١) البرهان في علوم القرآن(١/ ١٠٨)، والإتقان في علوم القرآن(٢/ ١٥٨).

(٢) ينظر: وجوه القرآن لإسماعيل بن عبد الرحمن الحيري صـ٨٩، صـ٣٧٥.

(٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر صـ٣٩٣.

لأنه ورد في كل المواضع مرادا به أهل النار فكل منها نظير للآخر باستثناء موضع واحد أريد به خزنة النار.

التركيب الثالث: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾

أولا: مَوْضِعا ورود هذا التركيب في القرآن الكريم

ورد هذا التركيب ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ في موضعين من القرآن الكريم لا ثالث لهما أحدهما في سورة الحاقة الآية: ٤٠، والآخر في سورة التكوير الآية:١٩

ثانيا: المراد بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ ﴾

لا خلاف بين المفسرين في أن المراد بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ﴾ أي: القرآن الكريم، وذلك في الموضعين، وذلك كما قال الله عن القرآن أيضا: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ الطارق: ١٣ ويشهد لذلك في موضع سورة الحاقة قوله بعد ذلك: ﴿ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الحاقة: ٤٣، فإنه خبر ثان عن اسم (إنَّ) وهو تصريح بعد الكناية، ولك أن تجعل ﴿ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ خبر مبتدأ محذوف، وتكون الجملة استئنافا بيانيا؛ لأن القرآن لما وصف بـ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾، ونفى عنه أن يكون قول شاعر أو قول كاهن، ترقب السامع معرفة كنهه، فبين بأنه منزل من رب العالمين على الرسول الكريم ليقوله للناس ويتلوه عليهم[1]، ويشهد لكون المراد به القرآن في موضع سورة التكوير قوله بعد ذلك: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ۝٢٥ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ۝٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ التكوير: ٢٥ – ٢٧، والقرآن هو الذكر للعالمين يتعظون به.

ثالثا: المراد بهذا التركيب في الموضعين

أما الموضع الأول في سورة الحاقة فقد ذهب الأكثرون من المفسرين [2] إلى أن المراد به الرسول محمد

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٩/ ١٤٤).

(٢) نسبه للأكثرين عدد من المفسرين كأبي حيان في البحر المحيط (١٠/ ٢٦٤)، والقونوي في حاشيته على تفسير البيضاوي(١٩/ ٢٨١) دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، والشهاب في حاشيته (٨/ ٢٣٩)، وروح المعاني للألوسي (١٥/ ٥٩) – دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ..

صلى الله عليه وسلم بدليل سياق الآيات بعده، إذ هي في مقام الدفاع عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه، والردّ على اتهام المشركين له بأنه كاهن، وبأنه شاعر؛ لأنه صلى الله عليه وسلم هو الذي رُمِي بذلك لا جبريل عليه السلام فكان المقام يقضى بأن يوضع الرسول بموضعه الصحيح، وهو أنه رسول كريم، وأن ما ينطق به ليس من منطق الكهانة ولا الشعر، وإنما هو منطق مبعوث كريم من ربّ العالمين، يبلّغ ما أرسل به إلى عباد الله، فيحسن حينئذٍ التقابل بين قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ الحاقة: ٤١ - ٤٢، وفي وصف الرسول بأنه «كريم» - إشارة إلى أنه يقدّم هذا الخير العظيم للناس، في سخاء، ويبذله، في غير مَنٍّ، لا يطلب عليه أجرا [١]، كما يقتضيه أيضا عطف قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ﴾ الحاقة: ٤٤، وقد وصف موسى عليه السلام بهذا الوصف أيضا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ﴾ الدخان: ١٧.

وذهب فريق من المفسرين إلى أن المراد به جبريل عليه السلام، حملا له على موضع سورة التكوير فإنه ظاهر هناك في حق جبريل عليه السلام، وهو قول مقاتل، وجوزه عدد من المفسرين[٢]، كأنه قيل إن هذا القرآن لَقولُ جبريل الرسول الكريم وما هو من تلقاء محمد صلى الله عليه وسلم كما تزعمون وتدعون أنه شاعر وكاهن ويكون قد نفى عنه صلى الله عليه وسلم الشعر والكهانة على سبيل الإدماج ، وقال عنه الألوسي:" وهو تحقيق حسن"[٣] قلت: لكن يبقى القول الأول أليق بالسياق، وأظهر وعليه الأكثر والله أعلم.

(١) ينظر: روح المعاني (١٥/ ٥٩)، التفسير القرآني للقرآن- عبد الكريم الخطيب(١٥/ ١١٤٩)- دار الفكر العربي- القاهرة.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٤٢٥)، وأنوار التنزيل (٥/ ٢٤٢)، والتحرير والتنوير (٢٩/ ١٤٣)، وقد نسبه الأستاذ عبد الكريم الخطيب (١٥/ ١١٤٩) للأكثرين في هذا الموضع وفيه نظر، والأكثرون في هذا الموضع على أنه رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم.

(٣) روح المعاني (١٥/ ٥٩)، والإدماج: هو أن يضمن كلاما سيق لمعنى معنى آخر [ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني- صـ٣٤٨- دار إحياء العلوم- سنة النشر ١٤١٩هـ ١٩٩٨م].

وأما الموضع الآخر في سورة التكوير فالجمهور [١] على أن المراد بالرسول الكريم جبريل عليه السلام، واقتصر عليه بعض المفسرين، وسياق الآيات بعده يدل عليه لأن الله قال بعدها: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ التكوير: ٢٠ – ٢١ ، وهي أوصاف لجبريل عليه السلام، ومن ثمَّ فقد اقتصر البيضاوي في تفسيره هنا على أن المراد به جبريل عليه السلام مع تجويزه القولين في سورة الحاقة بل قدم الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم هناك في الذكر، وقال القونوي في حاشيته على تفسيره معلقا:" ولما كان مجموع الصفات هنا مختصا بجبريل عليه السلام لم يجوز كون المراد بالرسول محمدا صلى الله عليه وسلم كما جوزه في أواخر سورة الحاقة، وأيضا قوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ يأبى عنه" [٢].

وهناك قول ذكره بعض المفسرين وهو أن المراد بالرسول هنا رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، كالمراد بالصاحب لكن قال الآلوسي – وصدق فيما قال-:"وهو خلاف الظاهر الذي عليه الجمهور"[٣].

رابعا : نوع الاستعمال في هذا التركيب وسبب اختلاف المراد منه :

استعمل التركيب في الموضعين بمعناه الحقيقي، وأريد بالرسول معناه اللغوي فصح إطلاقه على الرسول الملكي جبريل عليه السلام إذ هو رسول بين الله وأنبيائه، وصح إطلاقه الرسول البشري محمد صلى الله عليه وسلم فهو رسول الله إلينا، وبناء عليه فالاختلاف في المراد راجع إلى السياق في الموضعين، مع صحة إطلاق الرسول عليهما، وليس هذا من قبيل اختلاف المعاني في التركيب المتكرر، وإنما من باب الاختلاف في المراد به وبيان المبهم بحسب ما يدل عليه السياق.

خامسا : موقع هذا التركيب من الوجوه والنظائر .

يدخل هذا التركيب في الوجوه والنظائر على قول الجمهور من تفسير موضع سورة الحاقة بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وتفسير موضع سورة التكوير بجبريل عليه السلام ، مع مراعاة أن تعدد

---

(١) عزاه أبو حيان في البحر المحيط (١٠/ ٤١٨) للجمهور ، وقال عنه السمعاني في تفسيره(٦/ ١٦٩) : هو المشهور.

(٢) حاشية القونوي (٢٠/ ١٢١)

(٣) روح المعاني (١٥/ ٢٦٥).

الوجوه هنا لا باعتبار تعدد المعاني لأصل مدلول التركيب، فإن قوله ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ في الموضعين يدل على معنى واحد، وهو أن القرآن قول بلغه رسول كريم عن ربه عز وجل، وإنما باعتبار تعدد المراد به على سبيل التوسع والتجوز في إيراد ما تعدد المراد منه في الوجوه والنظائر ، وبيِّنٌ أن هذا ليس من قبيل المشترك اللفظي والله أعلم.

وعلماء الوجوه والنظائر أوردوا تراكيب في كتبهم كان الاختلاف فيها قائما على بيان المبهم، وتحديد المراد لا أن معناها من حيث هي مختلف مثل: "ثلاثة أيام"، "بضع سنين"،"أيام معدودات".

ولم يتعرض علماء الوجوه والنظائر لهذا التركيب فيما اطلعت عليه، إلا أن بعضهم أورده في مقام الحديث عن أوجه الكرم في القرآن الكريم، وجعل الكريم هنا بمعنى الفاضل [١].

سادسا : دفع الإشكال عن فهم هذا التركيب .

من المناسب قبل الفراغ من الحديث عن هذا التركيب أن ندفع إشكالا قد يرد على أذهان بعض الناس ساقه بعض العلماء وأجاب عنه.

قال السمعاني رحمه الله: "فإن قال قائل: كيف قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ وإنما هو قول الله تعالى؟

والجواب من وجهين: أحدهما: أن معناه تلاوة رسول كريم، والثاني: قول الله وإبلاغ رسول كريم، فاتسع في الكلام واكتفى بالفحوى"[٢].

ولعل هذا هو السر في التعبير بالرسول دون المَلَك أو النبي، فهو قول المرسِل ابتداء، وأضيف إلى الرسول لأنه مبلغ عنه عز وجل وحيه، ولا يحتاج الكلام حينئذ إلى تقدير كما قدره بعضهم: لقول مرسِل رسول كريم[٣]

قال الرازي:" هو كلام رب العالمين؛ لأنه تنزيله، وهو قول جبريل لأنه نزل به، وهو قول محمد؛ لأنه أنذر الخلق به، فههنا أيضا لما قال فيما تقدم: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ الحاقة: ٤٠ أتبعه بقوله: ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ

(١) ينظر: نزهة الأعين النواظر صـ٥٢١

(٢) تفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٤٢)، وينظر أيضا الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ١١٧).

(٣) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٣٢)، وزا د المسير (٤/ ٣٣٣).

ٱلۡعَٰلِمِينَ﴾ الحاقة: ٤٣ **حتى يزول الإشكال**"[١] .

التركيب الرابع: بلوغ الأجل في قوله تعالى: ﴿بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾

ينتظم الحديث عن هذا التركيب من خلال ما يأتي:

أولا: مواضع ورود هذا التركيب في القرآن:

ورد هذا التركيب في أربعة مواضع من القرآن اثنان منها بصيغة: ﴿فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾، **واثنان بصيغة** ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ وهذه المواضع بحسب ترتيبها في المصحف:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ﴾ البقرة: ٢٣١

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ﴾ البقرة: ٢٣٢

٣- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ البقرة: ٢٣٤ .

٤- قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ﴾ الطلاق: ٢

ثانيا: أصل البلوغ.

ذكر ابن فارس أنَّ البلوغ" أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء. تقول بلغت المكان، إذا وصلت إليه. وقد تسمى المشارفة بلوغا بحق المقاربة".

ويؤخذ من هذا أن البلوغ له إطلاقان: أحدهما وهو الأصل بمعنى الوصول إلى الشيء أو "الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى، مكانا كان أو زمانا، أو أمرا من الأمور المقدّرة"[٢].

الإطلاق الآخر: بمعنى المشارفة والقرب من الانتهاء والوصول وإن لم ينته حقيقة وهذا من باب التوسع والإطلاق باعتبار المقاربة.

قال البيضاوي:" والبلوغ هو الوصول إلى الشيء، وقد يقال للدنو منه على الاتساع"[٣]، وهذا مبني على

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٣٠/ ٦٣٤)

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني صـ١٤٤ - دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت-الطبعة: الأولى.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ١٤٣) - دار إحياء التراث العربي - بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

قاعدة: ما قارب الشيء يعطى حكمه تجوزا كما تقول: بلغنا البلد إذا دنوت منه وشارفته[١].

والكلام في الفعل "بَلَغَ" هو الكلام نفسه في مصدره "البلوغ" بل قد ذكر ابن هشام في مغني اللبيب قاعدة في أن العرب "يعبرون بالفعل عن أمور أحدها وقوعه وهو الأصل، والثاني: مشارفته نحو ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ البقرة: ٢٣١أي: فشارفن انقضاء العدة ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾البقرة: ٢٤٠ أي: والذين يشارفون الموت وترك الأزواج يوصون وصية﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾النساء:٩ أي: لو شارفوا أن يتركوا.."[٢].

وسيأتي بإذن الله تفصيل للمراد من البلوغ حال تركيبه مع الأجل في مواضع وروده معها، ليستبين لنا مواضع استعمال البلوغ فيها بمعنى الوصول، واستعماله بمعنى المقاربة، ومعرفة نوع هذا الاستعمال، وحجته.

ثالثا: أصل الأجل والمراد به في هذا التركيب:

أصل الأجل: المدة المضروبة للشيء [٣]، ويقع على المدّة كلها، وعلى آخرها، يقال لعمر الإنسان: أجل، وللموت الذي ينتهي به: أجل، وكذلك الغاية والأمد [٤].

والمراد بـ" الأجل" في هذه الآيات كما عبر كثير من المفسرين منتهى العدة أو آخر ها أو انقضاؤها [٥]، واكتفى بعضهم في التعبير عن ذلك بالعدة [٦].

---

(١) ينظر: تفسير المنار لرشيد رضا(٢/ ٣١٥)- الهيئة المصرية العامة للكتاب- سنة النشر: ١٩٩٠ م.

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام صـ٩٠٢- دار الفكر – دمشق- الطبعة: السادسة، ١٩٨٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني صـ٦٥.

(٤) الكشاف لمحمود بن عمر الزمخشري (١/ ٢٧٧) – دار الكتاب العربي – بيروت-الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

(٥) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (١٢/ ٧٥٣١) – مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة- الطبعة: الأولى، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٥/ ٢٢١)، وتفسير الجلالين صـ٧٤٩-دار الحديث – القاهرة- الطبعة الأولى.

(٦) ينظر: الوجيز للواحدي صـ١١٠٨-دار القلم – الدار الشامية – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي(٣/ ٤٩٩)- دار الكلم الطيب، بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

وقد ورد الأجل في مواضع أخرى مرادا به ذلك أيضا كما في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ الطلاق: ٤ قال أبو حيان الأندلسي:" وأضاف الأجل إليهن لأنه أمسُّ بهن، ولهذا قيل: الطلاق للرجال والعدة للنساء"(١).

وإطلاق الأجل على العدة أو آخرها أو انقضائها لا يخرج عن المعنى الأصلي للأجل الذي هو الوقت أو المدة المضروبة للشيء، وإنما هو تحديد له؛ فإن العدة زمان مقدر تتربصه الزوجة لطلاق زوجها أو وفاته.

رابعا: المراد من تركيب ﴿ بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ في مواضع وروده، ونوع الاستعمال فيها.

بالنظر في المواضع الأربعة التي ورد فيها هذا التركيب نجد أن موضعين منها -وهما الموضع الأول من سورة البقرة، وموضع سورة الطلاق- قد وردا بمعنى واحد، وفي سياق متفق قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ البقرة: ٢٣١، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ الطلاق: ٢ ، و كلٌّ منهما نظير الآخر ، وأكثر المفسرين اعتنوا بالحديث عن المراد منه في الموضع الأول من سورة البقرة ؛ لأنه الأسبق في ترتيب المصحف، وللتفريق بينه، وبين الموضع الثاني من سورة البقرة وهو قوله تعالى﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾البقرة: ٢٣٢، وقد سبق أن الإمام الشافعي رحمه الله- اشتهر عنه قوله:" دلَّ سياق الكلامين على افتراق البلوغين"(٢)

أما الموضع الأول وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ البقرة: ٢٣١

فقد نقل بعض المفسرين كالقرطبي، وابن عاشور الإجماع على أن المراد بقوله:﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي :

(١) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي(٢/ ٤٨٠)_

(٢) ينظر: الأم للإمام الشافعي (٥/ ١٢٧) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٦/ ٤٥٦).

قَارَبْنَ وشارفن انقضاء العدة، ولما تنقض بعدُ[١].

ودليل هذا الإجماع المنقول: أن العدة إذا انقضت زال التخيير بين الإمساك والتسريح المستفاد من "أو" في قوله: ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ البقرة: ٢٣١، وكذا من قوله تعالى في موضع سورة الطلاق: ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ الطلاق: ٢ ؛ وذلك لأن انقضاء العدة إمضاء للتسريح والفراق، ولا خيار للزوج معه للإمساك ، وقد قال تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ البقرة: ٢٢٨ أي: في أثناء العدة لا بعد انقضائها.

وبناء على ذلك فقد قال المفسرون: إن بلوغ الأجل هنا بلوغ مشارفة ومقاربة لا بلوغ انتهاء وانقضاء.

قال ابن الجوزي:" وإنما حمل العلماء هذا البلوغ على المقاربة، لأنه ليس بعد انقضاء العدة رجعة"[٢].

وقال الراغب:" إن قيل: ولم خص المشارفة، وقبل المشارفة هذا حكمه، قيل: لما كانوا يطلقون المرأة فيتركونها حتى تشارف انقضاء العدة، ثم يراجعونها إضرارا بها، خص ذلك بالذكر"[٣].

نوع الاستعمال في هذا التركيب بهذا المعنى:

اختلف المفسرون في نوع هذا الاستعمال لقوله: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾في الموضع الأول من سورة البقرة، وقوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ في موضع سورة الطلاق -بعد تقريرهم أن المراد في الموضعين مقاربة انقضاء العدة ومشارفتها- فذهب الأكثرون من المفسرين إلى أنه مجاز حيث إن الاستعمال الحقيقي لهذا التركيب بمعنى: انقضت عدتهن لا شارفن انقضاءها كما هو مستفاد من الأصل في معنى البلوغ والأجل.

ولهم في بيان هذا المجاز اتجاهات فمنهم من قال: هو مجاز طريقه الاتساع حيث استعمل البلوغ في معنى

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/ ١٥٥)، دار الكتب المصرية -الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢/ ٤٢١).

(٢)زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٢٠٤)- دار الكتاب العربي – بيروت- الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٤٧٧) – الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا- الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

المقاربة والدنو من الانتهاء والوصول من باب تسمية الشيء باسم ما قاربه وجاوره [١]، ووقع المجاز في هذا التركيب بالتجوز بلفظ الفعل "بلغن" عن مقاربته ومشارفته[٢].

ومنهم من قال بأنه مجاز مرسل علاقته الكلية حيث استعمل الأجل في الجزء الأخير منه على القول بأن الأجل حقيقة في جميع المدة، وأطلق على قرب انقضائه الذي هو جزء منه، وقيل: على هو سبيل الاستعارة تشبيها للمتقارب الوقوع بالواقع؛ ليصح أن يرتب عليه[٣].

ومنهم من ذهب إلى القول بالمجاز في الكلمتين(بلغن)، و(أجلهن).

قال ابن عاشور:" وبلوغ الأجل أصله انتهاء المدة المقدرة له كما يؤذن به معنى البلوغ الذي هو الوصول إلى المطلوب على تشبيه الأجل المعين بالمكان المسير إليه، وشاع ذلك في الاستعمال فالمجاز في لفظ الأجل وتبعه المجاز في البلوغ وقد استعمل البلوغ في هذه الآية في مقاربة ذلك الانتهاء مبالغة في عدم التسامح فيه وهذا الاستعمال مجاز آخر لمشابهة مقاربة الشيء بالحصول فيه والتلبس به. وقرينة المجاز هنا هو لفظ الأجل لأنه لا تتصور المراجعة بعد بلوغ الأجل؛ لأن في ذلك رفع معنى التأجيل"[٤].

وذهب بعض المفسرين إلى أن هذا الاستعمال حقيقي باعتبار أن البلوغ يتناول المعنيين الوصول والمقاربة من الانتهاء دون تجاوزها حقيقة، فيقال: بلغ المدينة إذا صار إلى حدّها وإذا دخلها، وهنا "بلغ" أي: إلى آخر مقدار من زمان العدة قبل انتهائه.

وأيضا على اعتبار أن الأجل اسم للزمان والمدة فيحمل على الزمان الذي هو آخر زمان يمكن إيقاع

---

(١) ينظر: الكشاف (١/ ٢٧٧)، وأنوار التنزيل (١/ ١٤٣)، واتساع الدلالة في الخطاب القرآني د. محمد نور الدين المنجد صـ٧٣-دار الفكر- دمشق- برامكة- الطبعة الأولى١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

(٢) ينظر: أولى ما قيل في آيات التنزيل لرشيد الخطيب الموصلي(٢/ ٣٣٥)- دار أروقة -الطبعة الأولى-١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

(٣) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي(١/ ٥٣٦)- دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٨/ ٣٠٧).

الرجعة، فيه بحيث إذا فات لا يبقى بعده مكنة إلى الرجعة وعلى هذا التأويل فلا حاجة إلى القول بالمجاز [١].

تحرير في نقل الإجماع على المراد ببلوغ الأجل:

مما هو جدير بالذكر هنا أن هذا الكلام السابق مبني على تفسير الموضعين السابقين ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ بـــ"شارفن انقضاء العدة"، وتقدم أن بعض المفسرين قد نقل الإجماع على ذلك لكن بالبحث والتتبع نجد أن بعض المفسرين قد حمل بلوغ الأجل على معنى انقضاء العدة حقيقة لا مقاربتها لكن بقيد قال مقاتل:" ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: يعني انقضاء عدتهن من قبل أن تغتسل من قرئها الثالث"[٢] ، وهو قول ضعيف، وقد رُدَّ عليه بأنه كان كذلك لوجب للزوج أن يوقعَ التسريحَ عليها بعد الأَجَل ما لم تغتسل، كما له أن يراجعها؛ لأن الله – سبحانه – سوّى بينهما، ولا قائل بذلك من أهل العلم"[٣].

وذكر الراغب وجها قيل في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ البقرة: ٢٣١ مفاده حمل ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ على انقضاء العدة ، ويكون معنى ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ أي: تزوجوا بهن على حكم الله أو اتركوهن على حكمه وقال:" إن قيل: كيف يصح أن يعبر عن التزويج بالإمساك؟ قيل: إنما استعمل الإمساك في هذا للتزوج، لأنه كان بعد أن كانت تحته، وقبل أن يملكها غيره.... إلى أن قال:" وجلُّ المفسرين على المعنى الأول" [٤]يقصد تفسير بلوغ الأجل بمقاربة انقضاء العدة، ولا يخفى أن تفسير الإمساك بالتزوج –فضلا عن مخالفته لما عليه جلُّ المفسرين بعيد، ولا قرينة معه.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب(٦/ ٤٥٢)، والتحقيق في كلمات القرآن الكريم لحسن المصطفوي (١/ ٣٦١) – مركز نشر آثار المصطفوي.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان صـ١٩٦ المحقق: عبد الله محمود شحاته– دار إحياء التراث – بيروت– الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ.

(٣) تيسير البيان لمحمد بن علي الخطيب اليمني (٢/ ٥٩) – دار النوادر، سوريا– الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢م.

(٤) تفسير الراغب (١/ ٤٧٧).

وصفوة القول أنَّ دعوى الإجماع يَرِد عليها هذه الأقوال الضعيفة، لكن يبقى أن تفسير بلوغ الأجل بمقاربة انقضاء العدة في الموضعين السابقين هو الصحيح وهو قول جمهور المفسرين، وأكثرهم لم يذكر سواه.

وأما الموضع الثاني من سورة البقرة وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ البقرة: **٢٣٢ فقد قال المفسرون: المراد بقوله:** ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ **انقضت عدتهن على الحقيقة فهو بلوغ انقضاء وانتهاء، وذلك لأن النهي عن عضل النساء عن التزوج بالأزواج، إنما يحسن في الوقت الذي يمكنها أن تتزوج فيه بالأزواج، وذلك إنما يكون بعد انقضاء العدة، ولا محل للعضل عن الزواج قبله لبقاء العصمة** (١)، **وقد صرَّح كثير من المفسرين بأنه هنا حمل لهذا التركيب على الحقيقة**(٢).

وهذا المراد من التركيب لا يؤثر عليه ما ورد من اختلاف بين المفسرين فيمن وُجِّه إليه الخطاب في هذه الآية.

وبقي لي أن أُعرِّج على الموضع الرابع من مواضع ورود هذا التركيب وهو الموضع الأخير في سورة البقرة وقد ورد في عدة المتوفى عنها زوجها لا في عدة الطلاق كما هو الأمر في المواضع الأخرى قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ البقرة: ٢٣٤ **والمراد من هذا التركيب باتفاق المفسرين أي: إذا انقضت عدتهن فالبلوغ فيه على أصله وهو الوصول إلى نهاية العدة والانتهاء منها، و" بلوغ أجلهن هو: انقضاء المدة المضروبة في التربص"**(٣).

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٦/ ٤٥٦)، وتفسير المنار (٢/ ٣١٨).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٥٥)، ونظم الدرر للبقاعي(٣/ ٣٢٣)- دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٢/ ٥٢٠).

خامسا : سبب تعدد المراد في هذا التركيب :

ظهر لنا مما سبق أن هذا التركيب استعمل بمعنى انقضاء العدة ، واستعمل أيضا بمعنى مشارفة انقضائها، والوصول إلى آخرها ، ومضى أن أكثر المفسرين على أن استعمال" بلغن أجلهن" بمعنى قاربن انقضاء العدة مجاز، وبناء عليه فسبب اختلاف المراد في هذا التركيب استعماله تارة في المعنى الحقيقي، وأخرى في المعنى المجازي بقرينة في السياق، وعلى القول بأن الاستعمالين حقيقيان فسبب الاختلاف استعماله في هذا المعنى حينا، وفي المعنى الآخر حينا آخر، أو أن يقال: السبب هو الاشتراك بين المعنيين، إلا أن القول بالمجاز لدى الأصوليين أولى من القول بالاشتراك(١).

سادسا : وجود هذا التركيب في كتب الوجوه والنظائر :

لم يتعرض أحد ممن كتب في الوجوه والنظائر لدراسة هذا التركيب فيما وقفت عليه من كتبهم، ولكن ذكر يحيى بن سلام ثمانية أوجه في الأجل، ومنها انقضاء العدة ، وذكر الدامغاني خمسة أوجه في الأجل، و منها العدة، ومثَّلا بهذه الآيات من سورتي البقرة والطلاق دون تفريق بين تلك المواضع(٢).

ويبدو لي أن كل الأوجه التي ذكروها في الأجل لا تخرج عن معناها الأصلي وهو المدة المضروبة للشيء، وإنما يتعين المراد منه ويصير محدد ا بحسب سياقه فالأجل مثلا هنا لما أضيف إلى ضمير النساء المطلقات في هذا التركيب علم أنه أجل معهود بالمضاف إليه متعلق بمدة تربصهن وعدتهن، فلا يُعدُّ هذا من قبيل المشترك بمعنى الأصولي كما تقدم التنبيه عليه في الدراسة التأصيلية. والله أعلم.

(١) ينظر: المحصول للرازي(١/ ٣٥٤).

(٢) ينظر: التصاريف صـ٣٢١ ، والوجوه والنظائر للدامغاني صـ٥٤.

التركيب الخامس: "ما بين أيديهم وما خلفهم":

أولا: مواضع ورود هذا التركيب في القرآن

ورد هذا التركيب في القرآن الكريم بهذه الصيغة في ستة مواضع [١]، وجاء بصيغ أخرى وهي: "من بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ"، و:" من بين يديه ومن خلفه"، و" ما بين يديها وما خلفها"، و: "مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا"، و" ما بين أيديكم وما خلفكم"[٢]، وجميعها -كما هو واضح- متفق في ذكر ما بين اليدين، أو الأيدي، في مقابلة ذكر الخلف بحيث يمكننا أن نقول: إنه قد ورد ذكرهما معًا بحسب هذا الاستقراء في ستة عشر موضعا من القرآن الكريم كانت موضع عناية فريق ممن كتب في الوجوه والنظائر.

ثانيا: الأصل في استعمال هذا التركيب.

جرى استعمال "ما بين اليد" مرادا به الأَمَام، وقُدَّام الشيء.

قال أبو منصور الأزهري: "يقال: بين يديك لكل ما أمامك"[٣].

وقال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ﴾ الأعراف:٥٧ "وأصل معنى قولهم: بين يدي فلان، أنه يكون أمامه بقرب منه، ولذلك قُوبِل بالخلف في قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ البقرة: ٢٥٥ فقصد قائله الكناية عن الأمام، وليس صريحا، حيث إن الأمام القريب أوسع من الكون بين اليدين، ثم لشهرة هذه الكناية وأغلبية موافقتها للمعنى الصريح

---

(١) وهذه المواضع وردت في: سورة البقرة الآية:٢٥٥، وسورة طه: الآية ١١٠، وسورة الأنبياء الآية: ٢٨، وسورة الحج الآية: ٧٦، وسورة سبأ: الآية٩، وسورة فصلت: الآية٢٥.

(٢) ورد هذا التركيب بصيغة " من بين أيديهم ومن خلفهم" في سورة الأعراف الآية:١٧، وسورة يس الآية :٩، وسورة فصلت الآية :١٤، وبصيغة " من بين يديه ومن خلفه" في سورة الرعد الآية: ١١، والأحقاف الآية:٢١، والجن الآية:٢٧، وبصيغة:" من بين يديه ولا من خلفه" في موضع واحد في سورة فصلت الآية:٤٢، وبصيغة " ما بين يديها وما خلفها" في موضع واحد في سورة البقرة الآية: ٦٦، وبصيغة:" ما بين أيدينا وما خلفنا" في موضع واحد في سورة مريم: ٦٤، وبصيغة" ما بين أيديكم وما خلفكم" في موضع واحد في سورة يس الآية: ٤٥.

(٣) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري- باب الدال والميم- مادة: يدى(١٤/ ١٦٩) -دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعة الأولى ٢٠٠١م، وينظر: لسان العرب.

جعلت كالصريح، وساغ أن تستعمل مجازا في التقدم والسبق القريب، كقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ سبأ: ٤٦، وفي تقدم شيء على شيء مع قربه منه من غير أن يكون أمامه ومن غير أن يكون للمتقدم عليه يدان. وهكذا استعماله في هذه الآية، أي يرسل الرياح سابقة رحمته [١].

وجرى استعمال "خلف" بمعنى: وراء وبَعْد في مقابلة "بين اليد".

قال الجوهري: "خلف نقيض قدام، والخَلْفُ والخَلَفُ: ما جاء من بَعْدُ "[٢].

وقال ابن الجوزي:" مَا بَين أَيْديهم: هُوَ القدام. وَمَا خَلفهم: هُوَ الوراء وَالْخلف وَالْأَصْل معرفَة هَذَا بالذوات. وَقد يذكر فِي غير ذَلِك على سَبِيل الِاسْتِعَارَة"[٣].

وقال ابن عطية:" ما بين اليد: كل ما تقدم الإنسان، وما خلفه: هو كل ما يأتي بعده"[٤].

ثالثا: موقع هذا التركيب من كتب الوجوه والنظائر:

هذا التراكيب أحد التراكيب التي تناولها عدد من المصنفين في علم الوجوه والنظائر وذكروا لها أوجها بلغت أربعة أوجه عند أكثرهم كمقاتل بن سليمان، وهارون بن موسى، ويحيى بن سلام، والدامغاني، وابن الجوزي، وبلغت ثلاثة أوجه عند أبي هلال العسكري ، وسبعة أوجه عند الحيري[٥].

---

(١) التحرير والتنوير (٨ب/ ١٨٠)، وينظر: جامع البيان للطبري(١٠/ ٢٥٣)- دار هجر الطبعة:الأولى١٤٢٢ه-٢٠٠١م.

(٢)وذكر ابن فارس أنَّ الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني خلاف قدام، والثالث التغير. [الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية- لأبي نصر الجوهري (٤/ ١٣٥٣) - مادة: خلف- باب الفاء فصل الخاء، ومقاييس اللغة (٢/ ٢١٠) - كتاب الخاء واللام وما يثلثهما].

(٣) نزهة الأعين النواظر صـ٥٤٨، وقد ذكر أ. د محمد جبل في المعجم الاشتقاقي المؤصل (١/ ٦٠٠) أن" سائر ما في القرآن من كلمة (خلف) فهي ظرف بمعنى وراء، محولة عن المصدر، كما في (جَنبَ) و (قُرْبَ) إلخ ظروفا".

(٤) المحرر الوجيز (١/ ٣٤١)

(٥) ينظر: الوجوه والنظائر لمقاتل صـ٢٥٦ ، والوجوه والنظائر لهارون بن موسى صـ٥٦، والتصاريف صـ٣٦٤، والوجوه والنظائر للدامغاني صـ٤٢٠، ، ونزهة الأعين النواظر صـ٥٤٨، الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري صـ٤٥٨، وجوه القرآن للحيري صـ٥٣٦.

رابعا : دراسة هذا التركيب في ضوء الوجوه والنظائر القرآنية.

جاء هذا التركيب في القرآن الكريم على أربعة أوجه – كما عليه الأكثرون- ، وبيانها على النحو الآتي:

الوجه الأول: كونه على حقيقته المعروفة في الذوات من أن ما بَين أَيْديهم: بمعنى أمامهم وقُدَّامهم، وَمَا خَلفهم أي: وراءهم.

وهذا الوجه فات أبا هلال العسكري دون غيره ممن سبق ذكرهم.

وقد ذكروا في التمثيل لهذا الوجه ١- قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ سبأ:٩، حيث إن الإنسان يرى السماء والأرض حقيقة إذا نظر إليهما بين يديه من أمامه، ومن خلفه إذا نظر إليهما من وراءه.

وقال يحيى بن سلام: "حيثما قام الإنسان فإنَّ بين يديه من السماء والأرض مثل ما خلفه منها"(١).

ومن أهل العلم من يرى أن المراد من ذكر ذلك بيان إحاطته سبحانه بهم من كل جانب حيث كانوا .

قال السمعاني: "قال أهل التفسير: إنما ذكر هذا؛ لأن الإنسان إذا خرج من داره لا يرى إلا السماء والأرض وما فيهما. ويقال: إنما قال هذا؛ لأن السماء والأرض محيطتان بالخلق، فكأن أحدهما بين أيديهم، والأخرى خلفهم بمعنى الإحاطة"(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ يس: ٩

وذلك أن الآية تبين أن طريق الهدى قد سُدَّ دونهم وهي كما قال ابن عاشور:" ارتقاء في حرمانهم من الاهتداء لو أرادوا تأملا بأن فظاظة قلوبهم لا تقبل الاستنتاج من الأدلة والحجج بحيث لا يتحولون عما هم فيه، فمثلت حالهم بحالة من جُعِلوا بين سَدَّين، أي جدارين: سدا أمامهم، وسدا خلفهم، فلو راموا تحولا عن مكانهم وسعيهم إلى مرادهم لما استطاعوه كقوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا

(١) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٧٤٧) تحقيق د. هند شلبي-دار الكتب العلمية-بيروت -الطبعة الأولى١٤٢٥ه-٢٠٠٤م.

(٢) تفسير القرآن للسمعاني (٤/ ٣١٨)، وينظر: التفسير الوسيط للواحدي(٣/ ٤٨٧)-دار الكتب العلمية، بيروت – الطبعة الأولى ، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي(٢/ ١٦٢)-دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت.

يَرۡجِعُونَ ﴾ يس: ٦٧"[١].

ومن فوائد ذكر هذا التركيب هنا: أن السالك إذا لم يكن له بُدٌّ من سلوك طريق فإن انسد الطريق الذي قدامه يفوته المقصد ولكنه يرجع وإذا انسد الطريق من خلفه ومن قدامه فالموضع الذي هو فيه لا يكون موضع إقامة؛ لأنه مُهلِك فيكون في ذلك إشارة إلى هلاكهم [٢].

ويمكن أن يضم إلى هذا الوجه ويدخل في نظائره:

٣- قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ الرعد: ١١ فقد قال عدد من المفسرين المعنى : له معقبات يحفظونه من قدامه، ومعقبات يحفظونه من وراء ظهره[٣] ، واختار ابن عاشور أن قوله تعالى: " ﴿ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ ﴾"مستعمل في معنى الإحاطة من الجهات كلها"[٤].

٤- وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴾ الجن: ٢٧ أي:" يُرسِل من أمامه ومن خلفه حرسا وحفظة يحفظونه"[٥] ، واختار بعض المفسرين كالواحدي أن المراد: "يجعل من جميع جوانبه رصداً من الملائكة يحفظون الوحي من أن يسترقه الشَّياطين فتلقيه إلى الكهنة فيساوون الأنبياء"[٦].

الوجه الثاني: ما بين أيديهم وما خلفهم يعني، ما بين أيديهم: ما كان قبل خلقهم. وما خلفهم يعني ما كان بعد خلقهم.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٥٠)، وقد ذكر بعض المفسرين وجها آخر وهو أن الآية على معنى: حجبناهم عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالظّلمة لمّا قصدوه بالأذى. [ينظر: زاد المسير(٣/ ٥١٨)].

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٦/ ٢٥٥).

(٣) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ٣٠٠)- دار طيبة -الطبعة الرابعة١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ومدارك التنزيل(٢/ ١٤٥).

(٤) التحرير والتنوير (١٣/ ١٠١).

(٥) جامع البيان (٢٣/ ٣٥٢).

(٦) الوجيز للواحدي صـ١١٤٢.

ومثلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ في ثلاثة مواضع ورد فيها ، وهي قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ البقرة: ٢٥٥ ، وقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ طه: ١١٠ ، وقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٨ قالوا : والضمير في هذه المواضع عائد على الملائكة أي: ما قبل خلق الملائكة ، وما بعد خلقهم [١]،وأضاف بعضهم[٢] إلى هذه المواضع المذكورة قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ مريم: ٦٤.

ولي على هذه الوجه بعض النظرات:

أولا: هناك موضع آخر ذُكر فيه قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ كالمواضع الثلاثة السابقة لكن لم يذكره علماء الوجوه والنظائر في تمثيلهم وهو قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ الحج: ٧٦، ولعل السبب في ذلك راجع إلى أن طريقتهم هي الاكتفاء بذكر بعض النظائر القرآنية المندرجة في الوجه دون تتبع المواضع كلها -كما تقدم التنبيه عليه-، وأيضا وتوارد بعضهم على النقل من بعض ، وقد اقتصر مقاتل على هذه المواضع فتتابع العمل على ذلك.

ويحتمل أن السبب في ذلك عائد إلى أن سياق الآية في سورة الحج ليس خاصا بالملائكة فإن قبلها ذكرا للرسل من الملائكة ومن الناس؛ ولذا فالضمير في: "أيديهم"، و"خلفهم" يعود على ما كان قبل خلق الملائكة والأنبياء ويعلم ما يكون من بعدهم كما هو قول مقاتل في تفسيره، وقيل: يعود إلى المشركين الذين عاد إليهم ضمير ﴿ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ﴾ الحج: ٦٧ [٣]، ولكن يبقى أن هذا الموضع لا يختلف عن المواضع الأخرى التي ذكروها وحملوها على معنى يعلم ما كان قبل الخلق وما يكون بعده.

ثانيا: الضميران في" ما بين أيديهم،" وما خلفهم" من موضعي سورة البقرة وطه لا يعودان إلى الملائكة

---

(١) ينظر: الوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان صـ٢٥٦، والتصاريف صـ٢٦٤.

(٢) كهارون بن موسى في الوجوه والنظائر صـ٥٦، ويحيى بن سلام في التصاريف صـ٢٦٤.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل(٣/ ١٣٩)، والتحرير والتنوير(١٧/ ٣٤٥).

قولا واحدا، وبيان ذلك أن موضـــع ســـورة البقرة فقد قال كثيرون: إنه عائد إلى ﴿ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ ؛ لأن فيهما العقلاء فعبر بذلك تغليبا لهم، والمراد الخَلْق، وقيل: بل عائد إلى ما دل عليه ﴿ مَن ذَا ﴾ من الملائكة والأنبياء(١)، وقيل: عائدان على كل من يعقل ممن تضـــمنه قوله تعالى: ﴿ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ فلا يكون هناك تغليب(٢).

وأما موضع سورة طه فقد قيل: إن الضمير يعود إلى من يتبعون الداعي كما يدل عليه السياق قبلها(٣)، وقيل: يعود إلى الشافعين، كما قيل: إنه يعود إلى الملائكة.

ثالثا: هذا الوجه في تفســير هذه المواضــع ليس محلَّ اتفاق بين المفســرين، وإنَّما هو أحد الأقوال المذكورة في تفســير قوله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ ﴾ ، وثَمَّ أقوال أخرى مبثوثة في كتب التفسير منها ما ذكره -مع تحرير- الشيخُ ابن عاشور بقوله:" والمراد بما بين أيديهم وما خلفهم ما هو ملاحظ لهم من المعلومات وما خفي عنهم أو ذهلوا عنه منها، أو ما هو واقع بعدهم وما وقع قبلهم. وأما علمه بما في زمانهم فأحرى. وقيل المستقبل هو ما بين الأيدي والماضي هو الخلف، وقيل عكس ذلك، وهما اســتعمالان مبنيان على اختلاف الاعتبار في تمثيل ما بين الأيدي والخلف، لأن ما بين أيدي المرء هو أمامه، فهو يســتقبله ويشــاهده ويســعى للوصــول إليه، وما خلفه هو ما وراء ظهره، فهو قد تخلف عنه وانقطع ولا يشــاهده، وقد تجاوزه ولا يتصــل به بعد، وقيل أمور الدنيا وأمور الآخرة، وهو فرع من الماضــي والمســتقبل، وقيل المحســوســات والمعقولات. **وأيًّا ما كان فاللفظ مجاز، والمقصود عموم العلم بسائر الكائنات**"(٤).

والقول بأن المقصــود من هذا التركيب في هذه المواضــع: بيان إحاطة علمه ســبحانه وتعالى بالخلائق

(١) ينظر: الكشاف (١/ ٣٠١)، وأنوار التنزيل (١/ ١٥٤)، وإرشاد العقل السليم (١/ ٢٤٨) وتفسير الجلالين صـ٥٦.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (١/ ٣٤١)، وحاشية الشهاب (٢/ ٣٣٤).

(٣) اقتصر عليه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٧٠)، والبغوي (٥/ ٢٩٦)، ورجحه د. سيد طنطاوي لعمومه (٩/ ١٥٤)- دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة- الطبعة: الأولى.

(٤) التحرير والتنوير (٣/ ٢٢)، وينظر: أنوار التنزيل (١/ ١٥٤).

كلهم مما تواطأ عليه كثير من المفسرين.

قال أبو حيان الأندلسي: " والذي يظهر أن هذا كناية عن إحاطة علمه تعالى بسائر المخلوقات من جميع الجهات، وكنى بهاتين الجهتين عن سائر جهات من أحاط علمه به، كما تقول: ضرب زيد الظهر والبطن، وأنت تعني بذلك جميع جسده، واستعيرت الجهات لأحوال المعلومات، فالمعنى أنه تعالى عالم بسائر أحوال المخلوقات، لا يعزب عنه شيء، فلا يراد بما بين الأيدي ولا بما خلفهم شيء معين كما ذهبوا إليه"(١).

وقال الألوسي: "والعلم- بما بين أيديهم وما خلفهم- كناية عن إحاطة علمه سبحانه"(٢).

رابعا: للمفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ مريم: ٦٤ أقوال متعددة فمنهم من أدرجها في هذا الوجه كما سبق، ومنهم من رجح معاني أخرى في المراد من هذا التركيب.

قال ابن جزي:" ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ ﴾ أي: له ما قدامنا وما خلفنا، وما نحن فيه من الجهات والأماكن، فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله، وقيل ما بين أيدينا: الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور، وما خلفنا: الآخرة، وما بين ذلك: ما بين النفختين وقيل: ما مضى من أعمارنا وما بقي منها، والحال التي نحن فيها، والأول أكثر مناسبة لسياق الآية"(٣).

وبناء على ذلك فيمكن أن يقال: إن هذه الآية إنما المقصد بها الإشعار بملك الله تعالى للملائكة، وأن قليل تصرفهم وكثيرة إنما هو بأمره وانتقالهم من مكان إلى مكان، إنما هو بحكمته إذ الأمكنة له وهم له، والمراد ب «ما بين الأيدي وما خلف» الأمكنة التي فيها تصرفهم، والمراد ب ما بَيْنَ ذلِكَ هم أنفسهم ومقاماتهم (٤).

---

(١) البحر المحيط (٢/ ٦١٢)، وينظر أيضا (٢٢/ ١٣٥).

(٢) روح المعاني (٢/ ١٠)، وينظر: مفاتيح الغيب (٢٢/ ١٣٥)، ونظم الدرر(٤/ ٣٢).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٨٣)، وينظر: الكشاف (٣/ ٢٩).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز(٤/ ٢٤).

وخلاصة القول في هذا الوجه : أن هذا الوجه لا يسلم القول به في هذه الآيات الأربع إلا على وجه تفسيري فيها، وثَمَّ ما هو أرجح منه في تفسيرها، إلا أن القاسم المشترك بينها -وبه تُعدُّ هذه المواضع نظائر- أن المقصود منها واحد وهو بيان إحاطة علمه سبحانه بخلقه؛ ولذا فقد قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات: ماضيها وحاضرها ومستقبلها كقوله إخبارا عن الملائكة: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ ﴾ مريم: ٦٤[١].

الوجه الثالث: ما بين أيديهم أي: الآخرة، وما خلفهم يعني الدنيا

وقد جاء استعمال هذا الوجه في مواضع ذكروها:

من ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ الأعراف: ١٧ فقد قيل: المراد بقوله: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: من قِبَل آخرتهم، فأزين لهم التكذيب بالبعث وبالجنة وبالنار ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ يعني من قِبَل الدُّنْيَا فأزينها في أعينهم وأرغبهم فيها وَلا يعطون فيها حقا ﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾ من قِبَل الحق والدين بإلقاء الشبهات ﴿ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ ﴾ من قبل الشهوات واللذات من المعاصي [٢] لكن قد قيل أيضا في تفسير هذه الآية الكريمة عكس ذلك فقيل: ﴿ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: الدنيا، ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ الآخرة، وقيل: المراد من حيث يُبْصِرون، ومن حيث لا يُبْصرون [٣].

ومال بعض المفسرين إلى أن المقصود بيان تسلطه على ابن آدم من كل جهة يتمكن منها لإغوائه.

قال الزمخشري:" يعنى لآتينهم من كل جهة، ولأعملن فيهم كل حيلة"[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير(١/ ٦٧٩)- دار طيبة للنشر والتوزيع- الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل (٢/ ٣١).

(٣) ينظر: جامع البيان (١٠/ ٩٩).

(٤) الكشاف (٤/ ١٩١)، وينظر: معاني القرآن للزجاج(٢/ ٣٢٤)ط: عالم الكتب – الطبعة الاولى، وتفسير الجلالين صـ١٩٤.

واستند هؤلاء العلماء إلى أن السياق في الآية قبلها دال على ذلك وهو ذكر الصراط وقعود إبليس، ولزومه له للإغواء وهذا معنوي فتكون هذه الجهات معنوية مثله(١) .

ومما هو جدير بالذكر والتحرير هنا أن تفسير: ﴿ مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ بالآخرة أو ما يستقبل، وتفسير ﴿ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾ بالدنيا أو الماضي، وعكس هذا التفسير وارد أيضا في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ ﴾، وكذا في قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ ﴾ مريم: ٦٤- فقد جعلت هذه الآية من مواضع هذا الوجه كما جعلت من مواضع الوجه السابق-(٢)، وكذا في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ يس: ٤٥، وقوله تعالى: ﴿ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾فصلت: ٢٥

وربما وقع الاختلاف في تفسير هذا التركيب لدى المفسر الواحد فتارة يفسر:" ما بين أيديهم" بالدنيا أو بما مضى، وتارة بالآخرة أو المستقبل في آية واحدة، أو في نظائر من الآيات القرآنية.

ومن هؤلاء الإمام الواحدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ يس: ٤٥ فقد قال في تفسيره "الوجيز " فقال:" ﴿ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ ﴾العذاب الذي عُذِّب به الأمم قبلكم ﴿ وَمَا خَلۡفَكُمۡ ﴾ يعني: عذاب الآخرة" ، وعكس في تفسيره الوسيط:"﴿ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ من أمر الآخرة فاعملوا لها، ﴿ وَمَا خَلۡفَكُمۡ ﴾ من أمر الدنيا، فاحذروها ولا تغتروا بها وما فيها من زهرتها " (٣).

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٠/ ١٠٠)، وتفسير المنار (٨/ ٣٠٠)، التحرير والتنوير (٨ب/ ٤٩).

(٢) ينظر: التصاريف صـ٢٦٤.

(٣) ينظر: الوجيز صـ٩٠١ ، والتفسير الوسيط (٣/ ٥١٥) وقيل: المراد الذنوب المتقدمة والمتأخرة ، وأيا ما كان الأمر فإن الآية تحذير من الوقوع في الذنوب ، وما يترتب عليها من هلاك وعذاب دنيوى كحال الأمم السابقة الهالكة، وتحذير من الدار الآخرة وعذابها، قال ابن عاشور في تفسيره(٢٣/ ٣٠): "ومتى حمل أحد الموصولين على ما سبق من أحوال الأمم وجب تقدير مضافين قبل ما الموصولة هما المفعول، أي اتقوا مثل أحوال ما بين أيديكم، أو مثل أحوال ما خلفكم، ولا يقدر مضافان في مقابله لأن ما صدق ما الموصولة فيه حينئذ هو عذاب الآخرة فهو مفعول اتقوا".

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ﴾فصلت: ٢٥ قال الواحدي أيضا في تفسيره الوجيز "﴿ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ من أمر الدُّنيا حتى آثروه ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ من أمر الآخرة فدعوهم إلى التَّكذيب به وأن لا جنَّة ولا نار ولا بعث ولا حساب" ، وعكس في تفسيره الوسيط: "﴿ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ من أمر الآخرة، أنه لا جنة ولا نار، ولا بعث ولا حساب، ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ من أمر الدنيا، فزينوا لهم اللذات، وجمع الأموال، وترك النفقة في وجوه البر"(١).

وسبب الخلاف في ذلك راجع إلى أن قوله: ﴿ مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ فُسِّر بالآخرة؛ لأنها مستقبلة آتية، وما هو كذلك كأنه بين اليدين، ومن فسره بالدنيا فلأنها حاضرة مشاهدة، ومن فسر قوله: ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ بالدنيا فلأنها ماضية بالنسبة إلى الآخرة ولأنها فانية متروكة مخلفة، ومن فسره بالآخرة فلأنها مغيبة عنه(٢).

وأيضا للاختلاف في النظر إلى "أن أصل هذين التركيبين تمثيلان فتارة ينظرون إلى تمثيل المضاف إليه بسائر إلى مكان فالذي بين يديه هو ما سيرد هو عليه، والذي من ورائه هو ما خلفه خلفه في سيره، وتارة ينظرون إلى تمثيل المضاف بسائر، فهو إذا كان بين يدي المضاف إليه فقد سبقه في السير فهو سابق له وإذا كان خلف المضاف إليه فقد تأخر عنه فهو وارد بعده"(٣).

وللاختلاف في الاعتبار فمن فَرض ترتيب ما بين اليد والخلف كأنها حالة وقوف وجعلها كالأجرام فما بين اليد: الآخرة وما يستقبل كما أن ما بين يد الإنسان أمامه، والأغلب في استعمال الناس إذا قالوا: هذا

---

(١) ينظر: الوجيز صـــ٩٥٤، والتفسير الوسيط (٤/ ٣١) وتفسير "ما بين أيديهم" بأمر الدنيا من اتباع الشهوات رجحه الشهاب في حاشيته (٧/ ٣٩٧) لكونه:" أوفق بالترتيب الوجودي"، وأفرد الحيري في الوجوه صـــ٥٣٧ هذه الآية بوجه سماه الأعمال والشهوات ومرده إلى الدنيا كما لا يخفى، ولقائل أن يقول: المقصود بيان أن هؤلاء القرناء أحاطوا بهم ولم يتركوا سبيلا يصلون منه إلى إفساد عقائدهم إلا سلكوه [ينظر: آل حم غافر- فصلت دراسة في أسرار البيان أ.د محمد أبو موسى صـ٣٩٦- مكتبة وهبة-الطبعة الثانية١٤٣٣هـ-٢٠١٢م].

(٢) ينظر: حاشية الشهاب (٤/ ١٥٥).

(٣) التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٠)، وينظر: تفسير الشيخ الشعراوي (٢/ ١٠٩٩) - مطابع أخبار اليوم..

الأمر بين يديك، أنهم يعنون به ما لم يجئ، وأنه جاءٍ"، وأما إن قدرها في نسق الزمان وقال: إنما المطرد أن يقاس ما بين اليد والخلف بما يسوقه الزمن فالأمر على العكس لأن ما بين يدك ما تقدمك زمنا فيكون بمعنى الماضي أو الدنيا كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾سبأ: ٣١ أي: الذي تَقَدّمه وسَبَقه من الكتب، وقوله تعالى: ﴿ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ ﴾المائدة: ٤٦ وذلك لأن التوراة قبله زمانا(١).

هذا ما تحصل لدي من تحريرات بعد استقراء كلام المفسرين، وإمعان النظر فيها.

والذي مال إليه بعض المفسرين في كثير من مواضع هذا التركيب كالألوسي أن" الكل محتمل، ووجه الإطلاق فيه ظاهر" (٢)، وربما استغنوا عن الترجيح ببيان أن هذا التركيب كناية عن جميع الجهات أو الأحوال وأن المقصود منه بيان العموم والإحاطة كما تقدم. (٣)

الوجه الرابع: ما بين أيديهم وما خلفهم يعني القَبل والبَعد في الدنيا.

هذا هو الوجه الرابع في المراد بهذا التركيب بحسب سياقه في مواضع وروده، وحاصله أنه قد استعير للزمان فجاء ما بين اليد بمعنى قبل، وما خلف بمعنى "بعد" في زمن الدنيا قبل الآخرة.

ومواضع هذا الوجه ١- قوله تعالى: ﴿ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ فصلت: ١٤ إذ المراد بقوله ﴿ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾فصلت: ١٤أي: من قبلهم ومن بعدهم فقد أرسل الله قبل هود وصالح - عليهما السلام- المرسلين إلى عاد وثمود رسلا، وأرسل بعد مجيئهما رسلا آخرين (٤).

قال الرازي:" فإن قيل: الرسل الذين جاءوا من قبلهم ومن بعدهم، كيف يمكن وصفهم بأنهم جاءوهم؟ قلنا: قد جاءهم هود وصالح داعيين إلى الإيمان بهما وبجميع الرسل، وبهذا التقدير فكأن

(١) ينظر: جامع البيان (١٥/ ٥٨٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٦٥)، (٤/ ٤٥٥).

(٢) روح المعاني (٢/ ١٠)، وينظر: حاشية الشهاب (٢/ ٣٣٤).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٢١/ ٥٥٥)، والبحر المحيط (٢/ ٦١٢)، و(٢٢/ ١٣٥)، والتحرير والتنوير (١٦/ ١٤٠).

(٤) ينظر: جامع البيان (٢٠/ ٣٩٦)، وتفسير القرآن للسمرقندي (٣/ ٢٢١).

جميع الرسل قد جاءوهم"[١].

وهناك وجه آخر في تفسير الآية وهو أن المراد المعنى أن الرسل المبعوثين إليهم أتوهم من كل جانب، ولم يتركوا وجها من وجوه الإقناع إلا كشـفوه لهم، ولم يتركوا طريقا يهدي إلى الخير إلا أضـاؤوه وأقاموا عليهم الحجة من كل وجه فلم يروا منهم إلا العتو والإعراض[٢].

وعلى هذا القول فالمراد من استعمال هذا التركيب بيان الإحاطة وشمول دعوتهم بكل سبيل.

٢- قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ الأحقاف: ٢١ وذلك أن هذا التركيب ﴿ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ ﴾ فسـر بما قبل هود عليه السلام وما بعده، وفي مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "من بين يديه ومن بعده" وتعد قراءة تفسيرية، و المعنى: لم يُبعَث رسـولٌ قَبْلَ هود ولا بعده إلاّ بالأمر بعبادة الله وحده، وقوله تعالى: ﴿ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ اعتراض بين إنذار هود وكلامه لقومه، ثم عاد إلى كلام هود فقال ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾[٣] ، وقيل: بل الاعتراض جملة ﴿ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ ﴾ فقط، وما بعدها مما أنذر به هود عليه السلام قومه وهو اعتراض مقرر لما قبله مؤكدٌ لوجوبِ العملِ بموجبِ الإنذارِ[٤] .

وقيل: بل هذه الجملة حالية للدلالة على اتفاق الرسل على الإنذار والدعوة إلى التوحيد، وقيل: المعنى وقد خلت النذر من بين يديه ويأتون من بعده، ومنهم من ذهب إلى أن "ومن خلفه" بمعنى في زمانه ، وقيل: "من بين يديه ومن خلفه" بمعنى قريبا من زمانه وبعيدا عنه[٥] .

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٧/ ٥٥١).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/ ١٩١)آل حم غافر- فصلت دراسة في أسرار البيان صـ٣٥٨.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط (٤/ ١١٣) وزاد المسير (٤/ ١١٠).

(٤) ينظر: الكشاف (٤/ ٣٠٦)، وإرشاد العقل السليم(٨/ ٨٥).

(٥) ينظر: التسـهيل (٢/ ٢٧٨)، و التحرير والتنوير (٢٦/ ٤٦)، آل حم الجاثية والأحقاف دراسـة في أسـرار البيان- د محمد أبو موسى صـ٤٩٩- مكتبة وهبة- الطبعة الأولى١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٣- قوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت: ٤٢

ذكر هذا الموضع في هذا الوجه ابن الجوزي، واقتصر أكثر المصنفين في الوجوه والنظائر على الموضعين السابقين، وجعله الحيري وجها مستقلا فقال: ما بين يديه: يأتي إليه بالأخبار الماضية، وما خلفه: الأخبار الكائنة(١) .

وللعلماء في المراد بهذا التركيب أقوال منها ما ذكره ابن الجوزي في هذا الوجه "القبل والبعد في الدنيا "بقوله:" أَي: لم يكذبهُ قبله كتاب، وَلَا يَجِيء بعده كتاب يكذبهُ"(٢) .

وهذا أحد الأوجه المشهور في تفسيره، وقيل: المعنى أنه محفوظ من أن يَنقُصَ منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، وقيل: لا يأتيه الباطل من أول التنزيل ولا من آخره(٣).

وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد من اللفظ معنى الإحاطة المشهورة في استعمال هذه التراكيب أي: لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات لا من جهة أحكامه، ولا من جهة أخباره، وكل الذي فيه حق وصدق(٤) .

قال الزمخشري في تفسير هذا التركيب القرآني: "مَثَلٌ كأنَّ الباطل لا يتطرّق إليه ولا يجد إليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل إليه ويتعلق به. "(٥).

هذه هي الأوجه التي ذكرها أغلب علماء الوجوه والنظائر مع تحرير القول فيها، وقد تضمنت خمسة عشر موضعا ورد فيها هذا التركيب، وبقي موضع واحد لم يذكره هؤلاء، وتنبه إليه الحيري ، وجعل له وجها مستقلا كان نصيبه الوجه الثالث عنده وهو قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا

(١) وجوه القرآن صـ٥٣٧، وقد نقل القرطبي في تفسيره (١٥/ ٣٦٧) عن ابن جريج في معنى الآية: لا يأتيه الباطل" فيما أخبر عما مضى ولا فيما أخبر عما يكون.

(٢) نزهة الأعين النواظر صـ٥٤٩.

(٣) ينظر: جامع البيان (٢٠/ ٤٤٥)، والنكت والعيون للماوردي (٥/ ١٨٥)-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنانز.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٩)، وآل حم غافر- فصلت صـ٤٤٩.

(٥) الكشاف (٤/ ٢٠٢).

وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة: ٦٦ قال:" ما مضى من ذنوبهم، ومَن بعدهم من الخلائق" [١].

ويبدو أنه على هذا القول الذي ذُكِر في تفسير هذه الآية الكريمة يمكن أن نضمَّ هذا الموضع إلى الوجه الرابع ليكون نظيرا للآيات الواردة فيه؛ إذ يجمعها أن " ما بين اليد"، و"ما" خلف -وهما ظرفا مكان- استعيرا للزمان على معنى "قبل، وبعد" في الدنيا لكن يلاحظ أنه على هذا القول فـــ"ما" الثانية وهي التي في ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ بمعنى "مَن" وقد قال الشهاب:" "و"ما" أقيمت مقام مَنْ إما تحقيرا لهم في مقام العظمة والكبرياء أو لاعتبار الوصف فإن ما يعبر بها عن العقلاء إذا أريد الوصف" [٢].

وعلى كل حال ففي الآية أقوال أخرى حمل فيها قوله ﴿لِّمَابَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ على الزمان أيضا فمن ذلك: أن المراد بـــ﴿لِّمَابَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ما سبقت من الذنوب ﴿وَمَا خَلْفَهَا ﴾ ما حضرت من الذنوب التي أخذوا بها، فتكون "ما" على بابها والحديث عن الذنوب السابقة، والحاضرة المقارنة لوقت أخذهم بها ، ومنها أن الله جعل تلك العقوبة الرادعة عبرة لمن حضرها من القرون والأمم في ذلك الزمان ، ولمن بعدها من الأمم [٣]، وقيل: لما قبلها وما بعدها من الأمم واعترض على ذلك ابن كثير مستندا إلى السياق فقال: "وهذا مستقيم بالنسبة إلى من يأتي بعدهم من الناس أن يكون أهل تلك القرية عبرة لهم، وأما بالنسبة إلى من سلف قبلهم من الناس فكيف يصح هذا الكلام أن تفسر الآية به وهو أن يكون عبرة لمن سبقهم؟ هذا لعل أحدا من الناس لا يقوله بعد تصوره، فتعين أن المراد بما بين يديها وما خلفها في المكان، وهو ما حولها من القرى...." [٤] فيمكن أن يراد به على ذلك الأمم القريبة

(١) وجوه القرآن صـــ٥٣٦، وقد نقل ابن عطية في تفسيره (١/ ١٦١) عن السدي أنَّ:"ما بين يدي المسخة: ما قبلها من ذنوب القوم، وَما خَلْفَها: لمن يذنب بعدها مثل تلك الذنوب" ثم قال:" هذا قول جيد" ، وينظر: تفسير السمرقندي (١/ ٦١)، والتفسير الوسيط للواحدي (١/ ١٥٣).

(٢) حاشية الشهاب (٢/ ١٧٤)، وينظر: تفسير الراغب (١/ ٢٢٢).

(٣) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٩٠).

(٤) تفسير القرآن العظيم(١/ ٢٩٢).

والبعيدة[١] ، ويبقى التركيب على الظرفية المكانية.

وحقيقة الأمر أنه قد وُجِّه القول بأن المراد جعل العقوبة عبرة لما قبلها وما بعدها من الأمم بأن مسخهم قد ذكر في كتب الأولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغ إليه خبر هذه الواقعة من الآخرين [٢].

وحاصل الأمر أن التركيب ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ في هذا الموضع محتمل لكونه مرادا به الظرفية الزمانية أو المكانية، وكونه متعلقا بالذنوب ماضيها وحاضرها المقارن للعقوبة، والأمم والقرى على اختلاف في ذلك ، وثَمَّ قول يرى أن هذا التركيب عبارة عن كثرة الذنوب المحيطة بهم أوّلاً وآخرا[٣] فيعود هذا التركيب إلى ما قصد به كثيرا في مواضع عديدة من معنى الإحاطة مع كونه مبينا على أن التعلق بالذنوب لا بالأمم- والعلم عند الله -تعالى.

ومن المفسرين من فسر الآية على معنى: جعلناها بما أحللنا بها من العقوبة عبرة لما حولها من القرى. فالمراد: لما بين يديها وما خلفها في المكان [٤]، وثَمَّ أقوال أخرى لكن ما ذكرته حاصل ما يدور حوله الاختلاف في المراد من هذا التركيب- والعلم عند الله تعالى-.

وبعد هذا الحديث عن هذا التركيب بمواضعه، وتحرير القول في أوجهه الأربعة يستبين أن الخلاف الواقع في مواضع هذا التركيب قائم على أنه تارة يراد به المعنى الحقيقي، وتارة يستعمل على سبيل الاستعارة في الزمان، أو الكناية عن الإحاطة، والحاكم في ذلك السياق كما رأينا، وهذا مما يسمح به البحث في الوجوه والنظائر، وليس المشترك اللفظي عند الأصوليين كما تقدم مرارا.

(١) ينظر: التحرير والتنوير(١/ ٥٤٦).

(٢) ينظر: الكشاف(١/ ١٤٨)، وأنوار التنزيل(١/ ٨٦)، وروح المعاني(١/ ٢٨٤).

(٣) ذكره الشهاب في حاشيته (٢/ ١٧٥).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٩٢).

التركيب السادس: ملك اليمين: "ما ملكت أيمانكم"، و" ما ملكت أيمانهم"، و"ما ملكت يمينك".

ينتظم الحديث عن هذا التركيب من خلال ما يأتي:

أولا: مواضع ورود هذا التركيب في القرآن.

ورد هذا التركيب في القرآن الكريم بصيغة "ما ملكت أيمانكم" في ستة مواضع، وبصيغة" ما ملكت أيمانهم"، في أربعة مواضع، وبصيغة: "ما ملكت يمينك" في موضعين، وبصيغة:" الذين ملكت أيمانكم" في موضع واحد فجملة المواضع التي فيها ذكر ملك اليمين في القرآن الكريم ثلاثة عشر موضعا (١).

ولا يخفى أن" ما" في جميع هذه الصيغ موصولة بمعنى الذي كما صُرِّح به في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖ ﴾النور: ٥٨﴾.

ثانيا: موقع هذا التركيب من كتب الوجوه والنظائر.

لم يتعرض جُل من كتب في الوجوه والنظائر لهذا التركيب، وخصه إسماعيل بن عبد الرحمن الحيري في " وجوه القرآن" بالدراسة فعقد له بابا في حرف الميم قال فيه:" باب في:" ما ملكت أيمانكم" على أربعة أوجه:

أحدها: السبايا كقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ ﴾ النساء:٢٤.

والثاني: الإماء كقوله تعالى: ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ النساء: ٢٥، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ النساء:٣، **وقوله تعالى:** ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴾ المؤمنون: ٦، والمعارج ٣٠.

(١) أما " ما ملكت أيمانكم" فمواضعها: في سورة النساء أربعة مواضع [الآيات:٣، ٢٤، ٢٥، ٣٦]، وسورة النور:٣٣، وسورة الروم:٢٨، وأما:" ما ملكت أيمانهم" فمواضعها: سورة النحل:٧١، والمؤمنون:٦، والمعارج٣٠، والأحزاب:٥٠، وأما ما ملكت يمينك ففي موضعين من سورة الأحزاب٥٠، ٥٢وأما "الذين ملكت أيمانكم" ففي سورة النور: ٥٨.

والثالث: المملوك عبدا كان أو أَمَة كقوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ النساء:٣٦.

والرابع: يعني به مارية القبطية، "نساء بني المصطلق"[(١)]، كقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ﴾ الأحزاب:٥٠، ٢- قوله تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ الأحزاب:٥٢[(٢)].

ثالثا: دراسة هذا التركيب في مواضع وروده.

يتضح مما ذكره الحيري أن هذا التركيب قد جاء في القرآن على أربعة أوجه، وهو وإن كان قد ذكر ثمانية مواضع لهذا التركيب على اختلاف صيغه موزعة على هذه الأوجه فإنه يمكن ضم باقي المواضع إلى ما ذكر بحيث لا تخرج عن هذه الأوجه في المراد منها.

وبالنظر في المواضع الخمسة الباقية التي لم يذكرها وبها تتم مواضع ورود هذا التركيب في القرآن نجد أن ثلاثة منها تدخل في الوجه الثالث وهو المملوك عبدا كان أو أمة بدليل صيغة "ما" الموصولة الدالة على العموم، ولأن السياق شامل للنوعين، ولا دليل على التخصيص فيها وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾ النحل:٧١، **وقوله تعالى:** ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ النور:٣٣، وقوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ الروم:٢٨.

وهناك موضع رابع وهو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ﴾النور: ٥٨ خصه بعضهم بالذكور نظرا إلى أن ظاهر صيغة **"الذين" مستعمل لذلك فيكون وجها آخر غير الأوجه الأربعة التي ذكرها الحيري لكن قال الألوسي: " "والجمهور على**

---

(١) زيادة في بعض نسخ الكتاب الخطية وفي بعضها الاقتصار على ذكر مارية ينظر: وجوه القرآن للحيري صـ٥٤٨- دار النوادر، و الكتاب نفسه صـ٣١٧ بتحقيق: فاطمة يوسف الخيمي - دار السقا – دمشق- الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

(٢) وجوه القرآن للحيري صـ٥٤٨.

عموم الذين ملكت أيمانكم في العبيد والإماء الكبار والصغار "[1] وبهذا يكون هذا المواضع أيضا من جملة ما يدخل في الوجه الثالث أيضا ، ولعلَّ السر – والله أعلم- في إيثار التعبير بـــ" الذين" في هذا الموضع أن الآية في مقام أمر ملك اليمين بالاستئذان، وهذا عمل يؤمرون بالقيام به، وهذا من صفة المكلفين العقلاء الذين يستعمل معهم" الذين" لا" ما"، وأيضا لمناسبة ذكر "الذين" المعطوفة عليها في قوله تعالى بعدها: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ﴾.

وأما الموضع الخامس وهو قوله تعالى: ﴿ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ ﴾ الأحزاب:٥٠ فملك اليمين فيه بمعنى الإماء وهو الوجه الثاني بدليل السياق؛ إذ هي في حق من يحل للرجال من النساء.

وهذه الأوجه الأربعة بينها صلة وارتباط فالوجه الثالث وهو المملوك رقيقا كان أو أَمَة أعمها وأشملها وهو الأصل والأكثر في هذا التركيب، والأوجه الثلاثة الأخرى من قبيل بعض الأفراد أو الأنواع لهذا العام.

أما الوجه الأول وهو السبايا ففي موضع واحد لا نظير له وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ ﴾ النساء:٢٤.

وهذا الموضع ليس موضع اتفاق بين المفسرين، فقد اختلفوا في المراد بالمحصنات ، وكذا في المراد بـ"ما ملكت أيمانكم"، ومن ذهب إلى أن المراد بـ" ما ملكت أيمانكم" السبايا فإن الآية عنده بمعنى: ويحرم التزوج من ذوات الأزواج قبل مفارقة أزواجهن لهن، إلا ما ملكت أيمانكم مِنْ الْإِمَاء بِالسَّبْيِ فَلَكُمْ وَطْؤُهُنَّ وَإِنْ كَانَ لَهُنَّ أَزْوَاج فِي دَار الْحَرْب بَعْد الِاسْتِبْرَاء[2]، وتفسير ملك اليمين بذلك هو أشهر الأقوال كما قال ابن جزي [3] ، ونسبه الألوسي لجمهور الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة

(١) روح المعاني(٩/ ٤٠١).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين صـ١٠٤.

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٨٦).

وقال:" لكن وقع الخلاف هل مجرد السبي محل لذلك أو سبيها وحدها"[١].

ويستدل لهذا الوجه بـ:

أ- سياق الآيات حيث إنَّ هذا التركيب جاء في موضع الاستثناء من تحريم نكاح الرجال من المحصنات، سواء قلنا: إنهن ذوات الأزواج، أم قلنا: إنهن الحرائر فيمتنع ابتداء أن يراد بـ ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ ﴾ العبيد؛ لأن السياق عن جنس الإناث لا الذكور وهذا يعني أن ما ملكت أيمانكم ليست على معناها العام الشامل للمملوكين عبيدا وإماء اتفاقا.

ب- سبب النزول يدل على تفسير ملك اليمين بالسبايا .

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،" أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ بَعَثَ جَيْشًا إِلَى أَوْطَاسَ، فَلَقُوا عَدُوًّا، فَقَاتَلُوهُمْ فَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ، وَأَصَابُوا لَهُمْ سَبَايَا، فَكَأَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحَرَّجُوا مِنْ غِشْيَانِهِنَّ مِنْ أَجْلِ أَزْوَاجِهِنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ: ﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ ﴾ النساء:٢٤، أَيْ: فَهُنَّ لَكُمْ حَلَالٌ إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ "[٢].

ت- مجيء آثار عن بعض السلف بذلك ومن ذلك ما ثبت عن الحبر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ ﴾ النساء:٢٤:" كل امرأة لها زوج فهي عليك حرام إلا أَمةً ملكتها، ولها زوج بأرض الحرب فهي لك حلال إذا استبرأتها»[٣].

فإن قيل: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فما المانع من الإبقاء على تفسير ملك اليمين بالإماء

---

(١) يقصد أن من الفقهاء- كالإمام أبي حنيفة- من اشترط أن تكون مَسْبية وحدها بعيدا عن زوجها بخلاف ما لو كان معها، ومنهم من لم يشترط ذلك، وجعل مجرد السبي موجبا للفرقة ومحلا للنكاح وهم الجمهور [ينظر: روح المعاني(٣/ ٤)، والتحرير والتنوير (٥/ ٦)].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه مع تبويب النووي- كتاب النكاح- باب جَوَازِ وَطْءِ الْمَسْبِيَّةِ بَعْدَ الِاسْتِبْرَاءِ، وَإِنْ كَانَ لَهَا زَوْجٌ انْفَسَخَ نِكَاحُهَا بِالسَّبْيِ(حديث١٤٥٦[٢/ ١٠٧٩]).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٥٦٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩١٦) وسنده حسن.

عموما، وتكون السبايا بعض ما يدخل في هذا العام لا جميعه.

والجواب عن ذلك: القول بأنَّ ملك اليمين يعم فيدخل فيه ما كان بسبي وشراء قد قال به بعض المفسرين، بل ووردت به آثار عديده مفادها أن بيع الأمة المتزوجة يعد طلاقا[1]، وعليه فتحل لمن اشتراها، وتكون هذا الموضع مندرجا في معنى الوجه الثاني وهو تفسير ملك اليمين بالإماء فتكون الأوجه عندهم في معنى ملك اليمين ثلاثة لا أربعة لكن يعكر على هذا القول ويرجح أن ملك اليمين في الآية الكريمة المراد به السبايا[2]، مع تسليمنا بأن العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب في الأصل وجود الدليل المانع من ذلك.

قال الحافظ ابن كثير – بعد ذكر بعض الآثار المروية في أن بيع الأمة المتزوجة يعد طلاقا :" وقد خالفهم الجمهور قديما وحديثا، فرأوا أن بيع الأمة ليس طلاقها ؛ لأن المشتري نائب عن البائع، والبائع كان قد أخرج عن ملكه هذه المنفعة وباعها مسلوبة عنها، واعتمدوا في ذلك على حديث بريرة المخرج في الصحيحين وغيرهما[3]؛ فإن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها اشترتها ونجزت عتقها، ولم ينفسخ نكاحها من زوجها مغيث، بل خيرها النبي صلى الله عليه وسلم بين الفسخ والبقاء، فاختارت الفسخ، وقصتها مشهورة، فلو كان بيع الأمة طلاقها –كما قال هؤلاء– لما خيرها النبي صلى الله عليه وسلم، فلما خيرها دل على بقاء النكاح، وأن المراد من الآية المسبيات فقط، والله أعلم"[4].

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري(٦/ ٥٦٥-٥٦٨).

(٢) رجحه ابن الجوزي في زاد المسير(١/ ٣٩٣)، وابن كثير في تفسيره(٢/ ٢٥٨)، وغيرهما.

(٣) يقصد بذلك حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعبَّاسٍ: «يَا عَبَّاسُ، أَلاَ تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا» فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ رَاجَعْتِهِ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ» قَالَتْ: لاَ حَاجَةَ لِي فِيهِ"[أخرجه البخاري في صحيحه– كتاب الطلاق– بَابُ شَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي زَوْجِ بَرِيرَةَ (حديث٥٢٨٣[٧/ ٤٨)].

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٥٨).

وبناء على ترجيح أن ملك اليمين هنا خاص بالمسبيات فالمراد بقوله: "ملكت" أي: ما تجدد ملكها بعد أن كانت حرة ذات زوج لا أنها كانت مملوكة فاشتراها مثلا ، وإنما الفعل مستعمل في معنى التجدد، وأيضا فاليمين في كلام العرب يكنى بها عن اليد حين تمسك السيف [١].

وثمَّ قول آخر في تفسير الآية الكريمة وهو أن المراد بالمحصنات من النساء العفائف أي: فهن حرام عليكم إلا ما ملكت أيمانكم بعقد النكاح أو ملك اليمين وبهذا التأويل يكون المعنى تحريم الزنا[٢].

ويشكل عليه أن المعروف في استعمال القرآن إطلاق ملك اليمين على الإماء لا على الزواج من الحرائر بالعقد عليهن بل تكرر في القرآن ذكرهما مقترنين في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴾ المؤمنون: ٦، والمعارج ٣٠، والعطف يدل على التغاير بين ملك اليمين والزواج .

وصفوة القول أنَّ تفسير "ما ملكت أيمانكم" بالسبايا أوجه وأقوى ما قيل في تفسير هذه الآية الكريمة.

وأما الوجه الثاني وهو قصر هذا التركيب "ملك اليمين" على الإماء فهو تفسير للعام ببعض أنواعه من قبيل العام الذي أريد به الخصوص بدليل السياق؛ لأنه وارد في حق من يحل للرجال من جنس الإناث فيكون خاصا بالإماء .

وأما الوجه الثالث فهو إبقاء للعام على عمومه -وهو الأصل- ؛ لعدم وجود قرينة صارفة عنه أو ما يقتضي التخصيص فيه.

وأما الوجه الرابع وهو أن المراد بملك اليمين مارية القبطية أو نساء بني المصطلق فهو من باب إيضاح المبهم وتفسير العام ببعض أفراده بالنظر إلى الواقع من النبي صلى الله عليه وسلم في تسريه ببعض الجواري، أو نكاحه من أعتق منهن، ومقتضى السياق مؤذن ابتداء في أن المراد بملك اليمين في قوله تعالى::﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ﴾ الأحزاب: ٥٠، وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ ﴾ الأحزاب: ٥٢ الإماء؛ لأنه في سياق بيان من يحل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من جنس النساء ،

(١) ينظر: التحرير والتنوير(٥/ ٦).

(٢) ينظر: النكت والعيون (١/ ٤٧٠)، والبحر المحيط(٣/ ٥٨٤).

وتكون مارية من الداخلات في المراد.

قال الماوردي:" ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعني الإماء ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ يعني من الغنيمة فكان من الإماء مارية أم ابنه إبراهيم، ومما أفاء الله عليه صفية وجويرية أعتقهما وتزوج بهما"(١).

وقال ابن الجوزي:" ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ : يعني الجواري مِمَّا أَفاءَ اللهُ عَلَيْكَ أي: ردّه عليك من الكفار، كصفيَّة وجُوَيرية، فإنه أعتقهما وتزوجهما"، وقال أيضا في قوله:﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾:" يعني الإماء"(٢).

وجويرية بنت الحارث كانت من سبايا من بني المصطلق فجاءت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لتستعين به على كتابتها، فأدى عنها كتابتها وتزوجها، وصفية بنت حيي أعتقها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد سبيها في خيبر وتزوجها وجعل صداقها عتقها ، وقَصْرُ بعض المفسرين ملك اليمين على مارية مبني على أن صفية وجويرية رضي الله عنهما قد أعتقهما الرسول صلى الله عليه وسلم وتزوجهما فهما من أزواجه، لا من ملك يمينه، وعلى اعتبار أن الثابت في سيرته صلى الله عليه وسلم أنه تسرى بمارية القبطية واختلف في التسري بغيرها(٣).

وقد قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى:﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ ، أي مما أعطاه الله من الفيء، وهو ما ناله المسلمون من العدو بغير قتال ولكن تركه العدو، أو مما أعطي للنبيء – صلى الله عليه وسلم – مثل مارية القبطية أم ابنه إبراهيم فقد أفاءها الله عليه إذ وهبها إليه المقوقس صاحب مصر، وإنما وهبها إليه هدية لمكان نبوءته فكانت بمنزلة الفيء لأنها ما لوحظ فيها إلا قصد المسالمة من جهة الجوار، إذ لم تكن له مع الرسول صلى الله عليه وسلم سابق صحبة ولا معرفة، والمعروف أن

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٤١٣).

(٢) زاد المسير (٣/ ٤٧٤) ، و (٣/ ٤٧٧).

(٣) نقل ابن القيم عن أبي عبيدة:" كان له أربع: مارية وهي أم ولده إبراهيم، وريحانة وجارية أخرى جميلة أصابها في بعض السبي، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش" [زاد المعاد لابن القيم(١/ ١١١)- دار الرسالة- بيروت- الطبعة السابعة والعشرون].

النبيء صلى الله عليه وسلم لم يتسر غير مارية القبطية. وقيل: إنه تسرى جارية أخرى وهبتها له زوجه زينب ابنة جحش ولم يثبت. وقيل أيضا: إنه تسرى ريحانة من سبي قريظة اصطفاها لنفسه ولا تشملها هذه الآية لأنها ليست من الفيء ولكن من المغنم إلا أن يراد بـــ "مما أفاء الله عليك" المعنى الأعم للفيء وهو ما يشمل الغنيمة"[١].

وحاصل الأمر أن قصر مِلك اليمين على مارية أو نساء بني المصطلق من باب تفسير اللفظ ببعض ما يدخل فيه نظرا إلى الجانب التطبيقي في سيرته صلى الله عليه وسلم في أمر ملك اليمين، وفيه مجال ليشمل غير ما ذكروا، ولعل التفسير بالجواري أو الإماء أولى، وأضبط ويكون هذا الوجه مندرجا في الوجه الثاني من الأوجه التي ذكرت في المراد بهذا التركيب.

نوع الاختلاف في المراد هذا التركيب وأسبابه .

تبين مما سبق في دراسة هذا التركيب أنه قد جاء في القرآن على ثلاثة أوجه١ – السبي وليس له إلا موضع واحد ٢ – الإماء٣ – المملوكون عبيدا كانوا أو إماء، وأن الوجه بأنها مارية أو نساء بني المصطلق فيدخل في الوجه الثاني ولا حاجة لإفراده والله أعلم.

ونوع هذا الاختلاف: الاختلاف في تفسير هذا التركيب بالمعنى العام، أو تفسيره ببعض أنواعه، أو أفراده، مع التسليم بأن مدلول الإطلاق اللغوي لهذا التركيب – وهو الملك للرقيق[٢]– لم يغب عن هذه الأوجه كلها فليست من قبيل المشترك اللفظي.

وسبب هذا الاختلاف أمران: ١ – اختلاف السياق في هذه الأوجه. ٢ – الاستناد إلى بعض الأدلة الأخرى كسبب النزول في تفسير ملك اليمين بالسبايا.

---

(١) التحرير والتنوير(٢٢/ ٦٤-٦٥).

(٢) وإطلاق اليمين من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل فمعنى مَلكَ يمينه أي: ملكه فصار مملوكا له قال الراغب في مفرداته صـ٧٧٤: " وخصّ ملك العبيد في القرآن باليمين".

التركيب السابع: ﴿ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ ﴾.

أولا: مَوْضِعَا ورود هذا التركيب في القرآن الكريم:

ورد هذا التركيب في القرآن الكريم في موضعين لا ثالث لهما، وكلاهما في سورة الإسراء قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾الإسراء:٧، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ الإسراء: ١٠٤

ثانيا: الأصل في كلمة "وعد"

الوعد: إخبار بحصول شيء في المستقبل من جهة المُخبِر، ولذلك يقال: أنجز فلان وعده أو أخلف وعده، ولا يقولون أنجز خبره فالوعد أخص من الخبر(١)، ويكون عند بعض أئمة اللغة بخير وبِشرٍّ، وأما الوعيد فلا يكون إلا بشر (٢)، وذهب الزمخشري إلى أن الوعد مجاز في الشر، ومال السمين الحلبي إلى أن الوعد غلب في الخير، والإيعاد في الشر (٣).

ثالثا: أصل كلمة "الآخرة" اللغوي، واستعمالها في القرآن الكريم

الآخرة مؤنث الآخِر وهو خلاف التقدم، ويقابل الأول، وما قبله سابق، وَسميت الْآخِرَة آخِرَة لِأَنَّهَا بعد الدُّنْيَا. (٤)

والغالب في استعمال الآخرة في القرآن الكريم أنها بمعنى الدار الآخرة التي تكون بعد انقضاء الحياة

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣/ ٥٩).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة- كتاب الواو- باب الواو والعين وما يثلثهما- مادة: وعد (٦/ ١٢٥)، و المفردات في غريب القرآن صـ٨٧٥، ولا يخفى أن هذا الشر ليس محضا، وإنما فيه جوانب خير أخرى كالزجر وتأييد المؤمنين وغير ذلك.

(٣) ينظر: أساس البلاغة للزمخشري (٢/ ٣٤٤) - دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان-الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، وعمدة الحفاظ (٤/ ٣٢٣).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة- كتاب الهمزة-باب الهمزة والخاء وما معهما في الثلاثي -مادة: أخر(١/ ٧٠)، و المفردات في غريب القرآن صـ٦٨، ونزهة الأعين النواظر صـ١٤٩.

الدنيا كما صرَّح به في بعض المواضع كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ العنكبوت: ٦٤ ، وفي هذا يقول ابن عاشور: " والآخرة في اصطلاح القرآن هي: الحياة الآخرة... صارت الآخرة علما بالغلبة على الحياة الحاصلة بعد الموت وهي الحاصلة بعد البعث لإجراء الجزاء على الأعمال"(١).

رابعا: المراد بهذا التركيب ﴿ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ ﴾ في موضعي وروده:

أمَّا الموضع الأول وهو قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ الإسراء: ٧ **فالمراد بوعد الآخرة: وعد المرة الآخرة بقرينة ذكر المرتين، وقوله:** ﴿ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا ﴾ **في قوله تعالى قبلها:** ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ الإسراء: ٤-٦

قال أبو حيان الأندلسي:" أعلم الله بني إسرائيل في التوراة أنه سيقع منهم عصيان وكفر لنعم الله تعالى في الرسل وفي الكتب وغير ذلك، وأنه سيرسل عليهم أمة تغلبهم وتقتلهم وتذلهم ثم يرحمهم بعد ذلك ويجعل لهم الكرة ويردهم إلى حالهم الأولى من الظهور فتقع منهم المعاصي وكفر النعم والظلم والقتل والكفر بالله من بعضهم، فيبعث الله عليهم أمة أخرى تخرب ديارهم وتقتلهم وتجليهم جلاء مبرحا"(٢).

وأكثر المفسرين – لا سيما القدامى منهم– على وقوع هذين الإفسادين المذكورين من بني إسرائيل ، والتسليط عليهم في المرتين قبل الإسلام بل قد نُقل اتفاق المفسرين على ذلك(٣)–وإن اختلفوا في تحديد وقت ذلك وتعيين أولئك الأقوام الذين سُلطوا عليهم على أقوال متعددة.

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٢٤٠).

(٢) البحر المحيط (٧/ ١٣).

(٣) ينظر: بنو إسرائيل في الكتاب والسنة صـ٦٧٠أ.د محمد سيد طنطاوي– دار الشروق– الطبعة الثانية–١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م،

قال الرازي:" واعلم أنه لا يتعلق كثير غرض في معرفة أولئك الأقوام بأعيانهم، بل المقصود هو أنهم لما أكثروا من المعاصي سلط عليهم أقواما قتلوهم وأفنوهم"(١).

هذا. وقد ذهب بعض المعاصرين إلى أن الإفساد الأول وعقوبته قد وقع قبل الإسلام، وأما الإفساد الثاني فقد وقع بعد مجيء الإسلام، وبقيت العقوبة والتسليط عليهم (٢)، وهناك من ذهب إلى أن الآيات تحدثت عن أمر مستقبلي، وأن كلا الإفسادين وقعا بعد الإسلام، والتسليط الأول وقع على يد المسلمين، وبقي وعد الآخرة ننتظر وقوعه (٣)، ومن المعاصرين من انتقد ذلك، ورده وانتصر لما عليه الجمهور (٤).

وصفوة القول: أنَّ المفسرين وإن اختلفت أقوالهم وتعددت آراؤهم في تحديد الإفسادين المذكورين، وتعيين أعيان المسلَّط على بني إسرائيل في المرتين لكنهم لم يختلفوا في أن المراد بوعد الآخرة: وعد المرة الآخرة، والوعد هنا وقت تحقق الوعد بهلاكهم فهو وعد بشرٍّ بالنسبة لهم في معنى الوعيد، ويكون قوله " الآخرة" نعتا لمنعوت مقدر دل عليه السياق أي: المرة أو الكَرَّة الآخرة.

وليس بخافٍ أن هذا كله في الدنيا سواء قلنا: إنه وقع كما عليه الجمهور، أو أنه سيقع كما ذهب إليه بعض المعاصرين، وهذا يختلف عن معنى الآخرة التي تقابل الحياة الدنيا.

وأما الموضع الآخر وهو قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٠/ ٣٠٠)، وينظر أيضا تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٤٧).

(٢) ممن ذهب إلى ذلك الأستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه التفسير القرآني للقرآن (٨/ ٤٤٦-٤٥٥)، ورجح أن المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾اللوح المحفوظ لا التوراة خلافا للجمهور.

(٣) ينظر: تفسير الشيخ الشعراوي- الخواطر (١٣/ ٨٣٤٨ - ٨٣٥٧).

(٤) من هؤلاء أ.د سيد طنطاوي في رده على مقال للشيخ عبد المعز عبد الستار نشر بمجلة الأزهر – الجزء ٢٨ صـ٦٨٩ ذهب فيه الشيخ إلى القول بأن الإفسادين وقعا بعد الإسلام، وأن الكتاب في الآيات هو القرآن خلافا للجمهور الذين استدلوا بأن الكتاب هو التوراة ؛ لذكره قبلُ في قوله تعالى:﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الإسراء: ٢ ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة صـ٦٧٦ -٦٨٩.

الإسراء: ١٠٤ فقد قال جمهور المفسرين: وعد الآخرة هنا يوم القيامة وهو ما وعد الله به الخلق على ألسنة الرسل من البعث والحشر والجزاء أمر الله بني إسرائيل بسكنى الأرض - أرض مصر[١] أو أرض الشام كما عليه الأكثرون أو الأرض عموما- بعد هلاك فرعون ومن معه بالغرق إلى أن يجئ يوم القيامة فيخرجون من قبورهم إلى أرض المحشر لفيفا أي: جميعا أو مختلطين قد التف بعضهم على بعض ثم يحكم الله بينهم ويميز بين سعدائهم، وأشقيائهم [٢].

وخالف في ذلك بعض المعاصرين الذين ذهبوا إلى أن عقوبة الإفساد الثاني لم تقع بعدُ فإنهم يرون أن وعد الآخرة هنا هو المذكور في الموضع الأول، وربطوا تفسير هذه الآية بالواقع الموجود على أرض فلسطين فقالوا: إن الله قد حكم على بنى إسرائيل بأن يتقلبوا في أنحاء الأرض، فيجتمعوا ويتفرقوا، ثم سيتجمع اليهود في وطن واحد وهو اللفيف في الآية الكريمة؛ ليتحقق وَعْد الله بالقضاء عليهم فإذا اجتمعوا وقامت لهم دولة وسلطان، فسدوا وأفسدوا، فيسلط الله سبحانه وتعالى عليهم من يضربهم بيد البلاء، فيشتت شملهم، ويمزّق جمعهم[٣].

وهذا مبني على التسليم بأن وعد المرة الآخرة بإهلاك بني إسرائيل لم يقع بعدُ، وتقدم أن هذا محل للنقد، وأنه مخالف لما عليه الجمهور [٤] ، ويعكر عليه أيضا أن الآية هنا لا تعرض لها لذكر الإفساد أو العقوبة عليه، وليست

---

(١) قال الألوسي في تفسيره (٨/ ١٧٦):"وهذا ظاهر أن ثبت أنهم دخلوها بعد أن خرجوا منها، واتبعهم فرعون وجنوده وأغرقوا وإن لم يثبت فالمراد من بني إسرائيل ذرية أولئك الذين أراد فرعون استفزازهم، واختار غير واحد أن المراد من الأرض الأرض المقدسة وهي أرض الشام".

(٢) ينظر: جامع البيان (١٥/ ١١٣)، والكشاف (٢/ ٦٩٨).

(٣) ينظر: التفسير القرآني (٨/ ٥٦٤)، تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٧٨٩)

(٤) بل قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب في تفسيره(٨/ ٥٦٣) مع مخالفته للمفسرين في تفسير وعد الآخرة بالقيامة:" ويكاد يكون إجماعهم على أنه يوم القيامة"، والحق أنه ثمَّ أقوال قديمة مرجوحة ذكرها بعض المفسرين كتفسيرهم وعد الآخرة بنزول عيسى عليه السلام من السماء [ينظر: النكت والعيون (٣/ ٢٧٨) ، ومعالم التنزيل للبغوي(٥/ ١٣٥)].

في مقام الذم وبيان العقوبة لبني إسرائيل بل في مقام ذكر نجاتهم من فرعون ومن معه وأنهم سيسكنون الأرض من بعده إلى حين فهي أقرب إلى معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ البقرة: ٣٦ ، ويتأيد القول بأن وعد الآخرة هنا أريد به يوم القيامة الذي يتحقق فيه الوعد للسعداء بالجنة وللأشقياء بالنار بأن العادة الغالبة في الآخرة أن تكون وصفا للدار الآخرة ، أو الحياة الآخرة كما تقدم، وإنما فسرنا الموضع الأول بوعد المرة الآخرة لوجود قرائن في السياق من ذكر المرتين ووعد أولاهما ، ولا قرينة هنا على ذلك ، فيقدم ما هو غالب في استعمال الآخرة في القرآن والله أعلم.

رابعا : نوع الاستعمال في هذا التركيب وسبب تعدد المراد منه :

استُعمل هذا التركيب ﴿ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ في الموضعين بمعناه اللغوي المعهود من كون الآخرة في مقابلة السابقة والمتقدمة والأولى، لكن على تقدير موصوف لها ففي الموضع الأول تقديره: وعد المرة الآخرة، وفي الموضع الآخر تقديره: وعد الدار أو الحياة الآخرة على قول الجمهور، ويكون سبب تعدد المراد من التركيب في الوضعين راجعا إلى اختلاف الموصوف في كلٍّ لا في معنى الآخرة، وأما على رأي بعض المعاصرين من جعلهما الموضعين بمعنى واحد فلا دخول لهذا التركيب في الوجوه، ويكون كلا الموضعين نظير للآخر لكن تقدم ما في هذا القول من نظر.

وهناك توجيه آخر وهو: إن سبب الاختلاف بين التركيبين على قول الجمهور راجع إلى أن الآخرة في الموضع الأول جاءت بمعناها اللغوي، وفي الموضع الآخر جاءت بمعناها الغالب في عرف القرآن وعادته من إطلاق الآخرة على الدار الآخرة في مقابلة الدنيا.

خامسا : موقع هذا التركيب من الوجوه والنظائر :

يدخل هذا التركيب في الوجوه والنظائر على قول الجمهور حيث جاء التركيب في موضعين وأريد به في كل موضع غير المراد منه في الموضع الآخر لكن ليس على سبيل الاشتراك ولكن للاختلاف في تقدير الموصوف، أو استعمال الكلمة في معنييها اللغوي، والاستعمال الشرعي الذي نقلت إليه حتى صار كأنه علم بالغلبة، ولم يعرج مَن كَتب في الوجوه والنظائر على هذا التركيب إلا في أثناء الحديث عن وجوه الآخرة، وجميع ما ذكروه من وجوهها لا ينفك عن المعنى الأصلي لها والله أعلم.

التركيب الثامن: "ومن يتولَّ"

أولا: مواضع ورود هذا التركيب:

ورد هذا التركيب المكون من اسم الشرط وفعله والفاعل المقدر:" هو" في أربعة مواضع من القرآن وهي بحسب الترتيب المصحفي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ المائدة: ٥٦، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الفتح: ١٧ وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ الحديد: ٢٤ وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ الممتحنة: ٦

ثانيا: الفعل "يتولى" وتعديته.

قد يتعدى الفعل (تولى، يتولى) إلى المفعول مباشرة كقولك: تولاه، ويتولاه فيكون بمعنى الولاية والقرب والإقبال، وقد يتعدى بالحرف "عن" فيكون بمعنى الانصراف والإعراض عنه، ذكر الراغب الأصفهاني، وتبعه السمين الحلبي قول بعضهم:" تَوَلَّى إذا عدّي بنفسه اقتضى معنى الولايَةِ، وحصوله في أقرب المواضع منه يقال: وَلَّيْتُ سمعي كذا، ووَلَّيْتُ عيني كذا، ووَلَّيْتُ وجهي كذا: أقبلت به عليه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ البقرة: ١٤٤، وإذا عدّي بـ (عن) لفظا أو تقديرا اقتضى معنى الإعراض وترك قربه. فمن الأوّل قوله تعالى:﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المائدة: ٥١، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ المائدة: ٥٦، ومن الثاني: قوله تعالى:﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ آل عمران:٦٣..... " [١].

ثالثا: المراد بهذا التركيب في مواضع وروده.

ورد هذا التركيب ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ متعديا بنفسه في موضع واحد وهو قوله تعالى:﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ المائدة: ٥٦ وهو من الموالاة أي: ومن يتخذ الله وليـًا أو يكن وليـًا[٢]، فيتولى الله بالإيمان به والتوكل عليه والقيام بطاعته، ويتولى الرسول والمؤمنين بنصرهم وشد أزرهم

(١) المفردات في غريب القرآن صـ٨٨٦، وعمدة الحفاظ (٤/ ٣٤٣).

(٢) مدارك التنزيل (١/ ٤٥٦).

والاســتنصــار لهم دون أعدائهم[١]، وهذا في مقابلة حال من ذمهم الله بتولي اليهود والنصــارى في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ المائدة: ٥١.

وورد هذا التركيب في المواضــع الثلاثة الأخرى غير متعدٍّ بنفســه بل كان متعديا بحرف "عن" المقدر بدلالة السياق فكان المراد من التركيب: ومن يعرض عن الحق والطاعة ويعرض عما يجب [٢].

وبيان ذلك أن التركيب في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ الفتح: ١٧ وقع في مقابلة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ فعلم أنه تولٍّ عن الطاعة، ويؤكده الوعيد عليه بالعذاب الأليم .

وأما التركيب في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ الحديد: ٢٤ فهو في ســياق ذم البخلاء الذين يأمرون الناس بالبخل ، والمعرضــين عن أوامر الله ونواهيه ومنها ما يتعلق بالإنفاق ، وناســب ذلك ختام الآية المؤكد ببيان غنى الله عن هؤلاء المعرضــين، و"الحميد عند أهل المعرفة بأياديه، وآلائه عندهم"[٣].

وأما التركيب في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ الممتحنة:٦، فهو في سياق ذم من أعرض عن الحق ووالى الكفار ، وناسب ذلك ختام الآية الذي لم يترك نوعا من التأكيد إلا جاء به"[٤].

رابعا : نوع الاستعمال في هذا التركيب وسبب اختلاف المراد منه :

استُعمل هذا التركيب ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ في المواضع كلها بالمعنى الأصلي[٥] إلا أنه جاء في موضع سورة

(١) ينظر: الوجيز للواحدي صـ٣٢٥، وتفسير المراغي(٦/ ١٤٤).

(٢) ينظر: الوجيز للواحدي صـ١٠٨٩، وتفسير الجلالين صـ٧٢٣.

(٣) جامع البيان (٢٢/ ٥٧٠).

(٤) الكشاف (٤/ ٥١٤).

(٥) ذكر أ. د محمد جبل في معجمه الاشــتقاقي (٤/ ١٩٣٨-١٩٤١) ما حاصــله: أن المعنى المحوري للوَلْي: لزومُ الشــيء شــيئًا آخر تبعًا له مع نحوٍ من الاشــتمال، ومن هذا الأصــل دلَّت على الاتجاه إلى شــيء أو وِجْهة، والتوجه إلى الشــيء التفات وانصــراف إليه، ومن هذا حمل (ولَّى) معنى الانصــراف ثم تُعيَّن الجهة بالحرف فقوله﴿ تَوَلَّىٰٓ إِلَىٰ

المائدة بمعنى الموالاة والإقبال، وفي بقية المواضع بمعنى الإعراض، وسبب هذا الاختلاف عائد إلى تعدية الفعل بنفسه في الموضع الأول، وتعديته في المواضع الأخرى بـــ "عن" المقدَّرة والتي حولته من معنى الانصراف والتوجه إلى الشيء ليكون بمعنى الانصراف، والإعراض عنه.

خامسا: موقع هذا التركيب من الوجوه والنظائر وكليات التراكيب القرآنية:

يظهر مما سبق أن هذا التركيب داخل في الوجوه والنظائر حيث إنه قد ورد في أكثر من موضع، واختلف المراد منه بحسب سياقه، وقد توجهت همة الكاتبين في الوجوه والنظائر لذكر الأوجه المتعددة في الولي، وكلها لا تخرج عن أصل المادة، ولم يُذكر هذا التركيب في كتبهم إلا على سبيل التمثيل به لبعض هذه الأوجه دون تفريق بين مواضع وروده لكن يحمد لمن كتب في غريب الألفاظ القرآنية ومعانيه كالراغب، والسمين تفريقهم بين "تولى" متعديا بنفسه، وبالحرف "عن"، وهو ما ساعد على تحرير الفرق بين مواضع ورود هذا التركيب.

ولنا أن نستخلص كلية في هذا التركيب مبينة على استقراء مواضعه فنقول: **كل" ومن يتول" في القرآن فهو بمعنى الإعراض إلا موضع سورة المائدة** والله أعلم.

وبهذا أكون قد انتهيت من الدراسة التطبيقية التي تضمنت دراسة ثمانية تراكيب قرآنية، واستقراء مواضعها، وتحرير القول فيها حسب المنهج المختار في دراسة هذا العلم، وبها يكتمل بناء هذا البحث.

وأسأل الله أن يكتب لهذا العمل القبول والسداد وأن يغفر لي، ولوالدي، ولشيوخنا، وللمسلمين، والمسلمات والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

﴿ٱلظِّلِّ﴾ القصص: ٢٤ بمعنى الإقبال والاتجاه إلى الشيء، وكل (تولى عن، وتول عن) فهي بمعنى الانصراف، ودون أي من الحرفين فكُلَ (ولّى)، و (تولى) – عدا ما كان من الولاية – معناه الانصراف إعراضًا وإدبارًا باستثناء قوله تعالى: ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾ التوبة: ٩٢ فهي بمعنى الانصراف دون إعراض.

الخاتمـــة

وفيها أهم النتائج والمقترحات:

في نهاية هذا البحث يمكن أن أوجز أهم النتائج التي توصلت إليها من خلاله في هذه النقاط الرئيسة:

١-القول المختار في تعريف الوجوه أنها: المعاني المتعددة لما تكرر بلفظه أو أصـــله في القرآن الكريم، وفي تعريف النظائر أنها المواضـــع المتفقة في المعنى لأحد الوجوه، أو جميع المواضـــع فيما جاء على وجه واحد.

٢-الوجوه والنظائر أعم من المشـــترك اللفظي الذي قرره الأصـــوليون؛ إذ العلاقة بين الوجوه قد تكون قائمة على استعمال اللفظة في معنييها الحقيقي، والمجازي، أو معناه اللغوي، والحقيقة الشرعية، ونحو ذلك.

٣-مجالات البحث في كتب الوجوه والنظائر: المفردات ومنها حروف المعاني، والتراكيب.

٤-الوجوه والنظائر في التراكيب القرآنية لا يزال مجال البحث فيها مفتوحا، وبحاجة إلى تمحيص، وقد أثبتُّ ذلك من خلال دراســـة ثمانية تراكيب ، منها ما هو مذكور في كتب الوجوه والنظائر، ومنها ما أضفته عليها.

٥-توجد قواسم مشتركة بين كتب الوجوه والنظائر من أبرزها متابعة مقاتل بن سليمان في جُلِّ ما ذكره، والاستكثار من ذكر الوجوه، وإهمال بعض النظائر المندرجة في كل وجه، وهذا محل نظر.

٦-المنهج الأمثل في التعامل مع الوجوه والنظائر يتحقق بأمور من أهمها: مراعاة المعنى الجامع الذي تُرد إليه تصـــاريف الكلمة، ومعانيها، والاهتمام بالنظائر، وعدم الاشـــتغال بتكثير الوجوه إلا لداعٍ، وحجة.

٧-السياق عليه التعويل الكبير في تحديد المراد من الأوجه الواردة في المفردات، والتراكيب.

٨-تعدد الأوجه في التراكيب القرآنية له صور متعددة ذكرتها؛ لأنه يحسن الوقوف عليها لمراعاتها.

٩-لا ينبغي التسليم لكل ما جاء في كتب الوجوه والنظائر؛ إذ فيها بعض تساهل بإقرار أصحابها.

١٠- بيان خطأ من أنكر علم الوجوه والنظائر، وشـــنع على العلماء المصـــنفين في هذا العلم، وأنه إنما

أوتي من سوء تصوره لحقيقة أمر الوجوه والنظائر، والهدف من مؤلفاتها، والحكم على الشيء فرع عن تصوره، والحق أن هؤلاء العلماء قد بذلوا جهدا كبيرا ومشكورا، ولكنه بحاجة إلى إضافة وتهذيب رحمهم الله رحمة واسعة.

أهم المقترحات:

١-أن تكون الدراسات التطبيقية للوجوه والنظائر في المفردات والتراكيب القرآنية وفق منهج قائم على استقراء المواضع، وبحثها، ومراعاة المعنى الجامع للألفاظ، والنظر في السياق، والإفادة من جهود المفسرين في ذلك.

٢-أقترح كتابة ردٍّ مفصل مؤصل على من أنكر هذا العلم بإطلاق، ولا سيما كتاب" لا وجوه ولا نظائر في كتاب الله عز وجل"، وقد أوضحت بطلان الأساس الذي أقام عليه كتابه، ولله الحمد.

٣-العمل على تهذيب كتب الوجوه والنظائر بالاقتصار على الوجوه، وإضافة ما أغفل فيها من نظائر.

ثبت المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم.

ثانيا : كتب التفسير

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم -لأبي السعود(ت٩٨٢هـ) - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- آل حم الجاثية والأحقاف دراسة في أسرار البيان- د محمد أبو موسى صـ٤٩٩ - مكتبة وهبة- الطبعة الأولى١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لعبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)- المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي- الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- أولى ما قيل في آيات التنزيل لرشيد الخطيب الموصلي(ت١٤٠٠هـ) -عناية مجد أحمد مكي- أروقة للدراسات والنشر.
- البحر المحيط- لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) - المحقق: صدقي جميل- -دار الفكر- بيروت سنة ١٤٢٠هـ.
- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور(ت١٣٩٣هـ) - الدار التونسية للنشر – تونس- سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي (ت: ٧٤١هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي- شركة دار الأرقم- بيروت.
- التفسير البسيط لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي(ت٤٦٨هـ) - عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.
- تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي- صـ٧٤٩-دار الحديث – القاهرة- الطبعة الأولى.
- تفسير الشيخ الشعراوي (الخواطر) - مطابع أخبار اليوم..

- تفسير القرآن- لأبي المظفر السمعاني (ت ٤٨٩هـ) - المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم- دار الوطن، الرياض - السعودية- الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن العظيم- لإسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ) - المحقق: سامي بن محمد سلامة- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع- الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- التفسير القرآني للقرآن- أ. عبد الكريم الخطيب- دار الفكر العربي- القاهرة.
- تفسير مقاتل بن سليمان(ت١٥٠هـ)المحقق:عبد الله محمود شحاته- دار إحياء التراث - بيروت- الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ.
- تفسير المنار لمحمد رشيد بن علي رضا (ت ١٣٥٤هـ) - الهيئة المصرية العامة للكتاب- سنة النشر: ١٩٩٠.
- التفسير الوسيط للواحدي- (ت٤٦٨هـ) دار الكتب العلمية، بيروت - الطبعة الأولى.
- التفسير الوسيط أ. د محمد سيد طنطاوي- دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة- الطبعة: الأولى.
- تفسير يحيى بن سلام- تحقيق:د. هند شلبي- دار الكتب العلمية-بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
- تيسير البيان لمحمد بن علي الخطيب اليمني (ت٨٢٥هـ) - دار النوادر - الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ- ٢٠١٢ م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري(ت٣١٠هـ) - دار هجر- الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(ت٦٧١هـ) دار الكتب المصرية -الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م
- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي- لشهاب الدين الخفاجي (ت١٠٦٩هـ) - دار صادر - بيروت.

- حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي ومعها حاشية ابن التمجيد- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) - المحقق: علي عبد الباري عطية- دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- زاد المسير في علم التفسير- لأبي الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)-المحقق: عبد الرزاق المهدي- الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) - الحسين بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣ هـ) - الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم- الطبعة الأولى-١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) - الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت- الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية - دار الكتب العلمية - بيروت-الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت: ٧١٠هـ) - الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي(ت٥١٠هـ) دار طيبة -الطبعة الرابعة١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت ٣١١هـ) - ط: عالم الكتب - بيروت- الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي - إحياء التراث العربي - بيروت-الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي(ت٨٨٥هـ) _ دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ) - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

- الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) - مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة- الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- لأحمد بن محمد بن علي الواحدي(ت٤٦٨هـ) - تحقيق: صفوان عدنان داوودي- دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

ثالثا: كتب علوم القرآن

- اتساع الدلالة في الخطاب القرآني د. محمد نور الدين المنجد صـ٧٣-دار الفكر- دمشق- برامكة- الطبعة الأولى١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- إتقان البرهان في علوم القرآن- د. فضل حسن عباس- دار النفائس- الطبعة الثانية ١٤٣٠ه-٢٠١٠م.
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- أحسن الحديث دراسة في بيان القرآن- أ.د محمد سالم أبو عاصي- دار الحرم- الطبعة الأولى٢٠٢١م.
- الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين التنظير والتطبيق د. محمد نور الدين المنجد صـ٣٠-دار الفكر المعاصر.
- البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي(ت٧٩٤هـ) - محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية-ط: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز -للفيروز آبادي- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة.
- بنو إسرائيل في الكتاب والسنة -أ. د محمد سيد طنطاوي- دار الشروق- الطبعة الثانية-١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م
- تحصيل نظائر القرآن للحكيم للحكيم الترمذي - تحقيق حسني نصر زيدان- الطبعة الأولى١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

- التحقيق في كلمات القرآن الكريم لحسن المصطفوي - مركز نشر آثار المصطفوي.
- التبيان في آداب حملة القرآن – لزكريا بن شرف النووي - دار ابن حزم - بيروت – لبنان-١٤٣٢هـ.
- التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه- ليحيى بن سلام - - تحقيق: د. هند شلبي- دار النوادر القيمة-ط:١٤٣١هـ-٢٠١١م.
- الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي - مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ.
- عمدة الحفاظ للسمين للحلبي -دار الكتب العلمية- الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- المشترك اللفظي في الحقل القرآني- د. عبد العال مكرم - مؤسسة الرسالة – بيروت- الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ.
- معاجم مفردات القرآن (موازانات ومقترحات) أ.د أحمد حسن فرحات - طبعة مجمع الملك فهد.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريمأ.د محمد حسن جبل-مكتبة الآداب – القاهرة- الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني - دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت-الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.
- منتخب قرة العيون النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي - تحقيق: محمد السيد الصفطاوي-د. فؤاد عبد المنعم أحمد- طبعة منشأة معارف بالإسكندرية.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر- عام النشر: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- موسوعة الوجوه والنظائر أ.د أحمد بن محمد البريدي، د. فهد بن إبراهيم الضالع-دار التدمرية.
- لا وجوه ولا نظائر في كتب الوجوه والنظائر د. عبد الجبار فتحي زيدان صـ١٠٨- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لأبي الفرج ابن الجوزي - مؤسسة الرسالة - لبنان/

بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- وجوه القرآن لإسماعيل بن أحمد الحيري(ت٤٢١هـ) - تحقيق: د. نجف عرشي- - دار النوادر القيمة-ط:١٤٣١هـ-٢٠١١م.
- الوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان(ت١٥٠هـ) - تحقيق: د. حاتم صالح الضامن- مكتبة الرشد- الطبعة الثانية- ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- الوجوه والنظائر لهارون بن موسى - طبعة وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بتحقيق: د. حاتم صالح الضامن.
- الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري - ط: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة- الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- الوجوه والنظائر دراسة وموازنة د. سليمان بن عبد الله القرعاوي - دار الشروق.
- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز - للحسين بن محمد الدامغاني- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

رابعا: كتب الحديث وعلومه

- صحيح الإمام البخاري - لمحمد بن إسماعيل البخاري-دار طوق النجاة- بيروت/ الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ.
- صحيح الإمام مسلم - لمسلم بن الحجاج النيسابوري- دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- المصنف لابن أبي شيبة- مكتبة الرشد - الرياض- الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير- المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

خامسا: كتب الفقه وأصوله

- الأم للإمام الشافعي - دار المعرفة - بيروت-سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين الزركشي - دار الكتبي- الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- الغيث الهامع شرح جمع الجوامع لولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي – تحقيق: محمد تامر حجازي- دار الكتب العلمية- الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- كشف الأسرار شرح أصول البزدوي لعلاء الدين البخاري الحنفي -دار الكتاب الإسلامي.
- المحصول لفخر الدين الرازي- دراسة وتحقيق: د. طه جابر فياض العلواني - مؤسسة الرسالة- الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- المستصفى لأبي حامد الغزالي(ت٥٠٥هـ) - دار الكتب العلمية- الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

سادسا: كتب اللغة بفروعها.

- أساس البلاغة للزمخشري(ت٥٣٨هـ) - دار الكتب العلمية، بيروت -الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨م.
- الأضداد لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري - المكتبة العصرية، بيروت – لبنان- ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني- دار إحياء العلوم- سنة النشر ١٤١٩هـ١٩٩٨م.

- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري- -دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعة الأولى ٢٠٠١م،
- شرح كتاب الحدود في النحو - لعبد الله بن أحمد الفاكهي مكتبة وهبة – القاهرة- الطبعة: الثانية
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها- لأحمد بن فارس- الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- فقه اللغة د. علي عبد الواحد وافي - دار نهضة مصر- الطبعة الثالثة ٢٠٠٤م.
- الكتاب لسيبويه مكتبة الخانجي، القاهرة- الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- لسان العرب لابن منظور- دار صادر – بيروت- الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- المخصص لابن سيده - دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ١٩٩٦م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي - دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ١٩٩٨م.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام دار الفكر – دمشق- الطبعة: السادسة، ١٩٨٥ .
- مقاييس اللغة لابن فارس- تحقيق: أ/ عبد السلام محمد هارون- ط: دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- منازل الحروف للرماني/ تحقيق: إبراهيم السامرائي-دار الفكر – عمان.

سابعا : كتب السير والتاريخ والرجال

- الطبقات الكبرى لابن سعد - دار صادر- بيروت- الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م.
- تهذيب التهذيب- لابن حجر العسقلاني - مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند- الطبعة الأولى، ١٣٢٦ه.
- مناقب الشافعي للبيهقي- تحقيق السيد صقر- ط: دار التراث – القاهرة- الطبعة: الأولى، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م.

ثامنا : كتب أخرى متنوعة

- بدائع الفوائد لابن القيم (ت٧٥١هـ) - دار الكتاب العربي-بيروت- لبنان.
- جامع بيان العلم وفضله- لابن عبد البر- دار ابن الجوزي، السعودية- الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- الكليات لأبي البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ)-مؤسسة الرسالة – بيروت
- معيار العلم لأبي حامد الغزالي - تحقيق د. سليمان دنيا - دار المعارف، مصر- عام النشر: ١٩٦١ م.
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لأحمد بن مصطفى المشهور بطاش كبرى زاده - دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

فهرس المحتويات

ملخص البحث ٥
مقدمـــة ٩
المبحث الأول: الدراسة التأصيلية للوجوه والنظائر في التراكيب القرآنية ١٣
المطلب الأول: تحرير القول في تعريف الوجوه والنظائر ١٣
المطلب الثاني: العلاقة بين الوجوه والنظائر والمشترك اللفظي. ١٧
المطلب الثالث: التراكيب القرآنية وصلتها بعلم الوجوه والنظائر ٢١
المطلب الرابع: علم الوجوه والنظائر بين المؤيدين والمعارضين ٢٥
المطلب الخامس: نبذة عن أبرز كتب الوجوه والنظائر، وأهم سماتها المشتركة. ٣٥
المطلب السادس: صور تعدد الوجوه في التراكيب القرآنية، وأثر السياق في ذلك..... ٤٠
المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية للوجوه والنظائر في بعض التراكيب القرآنية ٤٣
التركيب الأول: ﴿ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ ٤٤
التركيب الثاني: ﴿ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾..... ٤٦
التركيب الثالث: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾..... ٤٩
التركيب الرابع: بلوغ الأجل في قوله تعالى: ﴿بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾، وقوله تعالى: ﴿ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ ٥٣
التركيب الخامس: "ما بين أيديهم وما خلفهم" ٦١
التركيب السادس: ملك اليمين: "ما ملكت أيمانكم"، و " ما ملكت أيمانهم"، و "ما ملكت يمينك". ٧٦
التركيب السابع: ﴿ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾. ٨٤
التركيب الثامن: "ومن يتولَّ" ٨٩
الخاتمة..... ٩٢
ثبت المصادر والمراجع ٩٤
فهرس المحتويات..... ١٠٢